AL- JESAS THE FIRST WAR

عبد الرحمن دياب

الجيساس

الحرب الأولى

رواية

ساحر الكتب
UTOPIA
PUBLISHING
HOUSE

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إهداء

إلى الذين لم يسقطوا في فتنة الأرض والحياة!

يوم الأرض

تصاعد صوت زمجرتهم وصراخهم الرفيع وكأنه يعانق السماء في الأعلى؛ معلنًا قرب فناء هذه الكائنات التي تفترش الأرض وتحكم المكان رغم وحشيتها البادية على مظهرها. لا يعلمون أن نهايتهم اقترب موعدها، وإنْ علموا فلا يوجد لديهم مخ ليفكر في معنى النهاية أو الموت، فهم مجرد قتلة في هيئتهم يرتسم الألم والفناء على وجوههم، يحاصرون بعضهم البعض في كل وقت وحين.

أما الضحية منهم فيلتفت حوله وهو يطلق صريرًا مخيفًا محاولًا إيجاد مخرجٍ؛ لكنه يفشل دومًا كما العادة، بالنسبة لهم هي دوامة متتالية لا تنتهي، تحدث كل يوم بل في كل ساعة ودقيقة على وجه البسيطة.

الكائن المُحاصر دومًا يعلم أنه سينجو؛ ولكن ما يحدث بعد تطويقه هو المؤلم حقًا بالنسبة له، عليه فقط الاستسلام حتى ينقضوا عليه ويمزقونه إربًا؛ لتتناثر أشلاؤه على الأرض الذهبية التي لا تُنبت، وتعكس أشعة الشمس الحارقة عليها ليتطاير الرمال

رفضًا لوجود مثل هذه المادة المقززة فوقه مشوهًا جماله؛ ثم يتوقف المشهد.

تعود الأشلاء الممزقة لتشكل الكائن ثانيةً، ويعود كما كان ويدخل في صراع جديد قد يكون فيه هذه المرة ضحيةً أو قاتلًا!

هذه المرة مختلفة بالنسبة لهم بعد أن شاهدوا الغبار وهو يتصاعد فجأة فوق سفح الجبل الأبيض الضخم أمامهم؛ ليتشكل وسطه كيان ضخم بدأت ملامحه تتضح سريعًا، ينظر إلى الأرض المنبسطة أسفله على مرمى البصر؛ ثم يركز بصره عليهم.

لا يعلمون من هو ولكن مع سقوط الغبار وعودة الهدوء والحال إلى طبيعته ثانيةً بانت هيئته، مخيفة بالنسبة لهم ولكنهم لن يقاتلوه، فهو لا يسبب لهم أي ضرر حتى الآن كما أن شكله غريب عليهم وهم يفتكون بمن على الأرض معهم فقط ولن يجازفوا بالصعود إليه ليعودوا إلى حياتهم الطبيعية ويستمروا في تمزيق بعضهم البعض.

أما الوافد الجديد، فبعد أن وصل إلى الأرض بسلام، بدأ يفكر في مهمته وهو ينظر حوله ليستطلع المكان الواسع للغاية الذي يراه لأول مرة، سمع كثيرًا عن هذه الأرض ولكن هذه الزيارة الأولى له، لا وقت

أمامه؛ لأن عليه تطهير المكان ومن عليه، مهمته إزالة الشرور وفك سطوة هذه الكائنات المقيتة، الحن والخن والبن، بالنسبة له تلك معركة المصير والمستقبل بعد أن كلفه قائده عزازيل بهذا.

نظر إلى السماء أعلاه بصفائها التام وكأنها انعكاس لمياه البحر التي يراها بعيدًا، وعلى الرغم من هيئته والسيفان المتقاطعان خلف ظهره المنذران بالهلاك، وقرناه أعلى رأسه الملتفان وكأنهما يعانقان بعضهما البعض؛ إلا أن هذا المشهد مس جزءًا ما في روحه وذكره بالمكان الذي جاء منه.

عشق المكان وصفاءه منذ أن مسه بقدمه، ولكن لا يجب أن يفكر في أي شيء الآن إلا ما جاء لأجله.

رأى على مرمى بصره غير المحدود، آلاف الكائنات الضخمة وسمع أصواتهم العالية المزعجة وصريرهم وهم يتعاركون، بعضهم يزحف على الأرض، والبعض الآخر يطير بقرون سوداء ضخمة، تشكيلة خلقها الله تعالى لهدف ما لا يدريه، ولكنه لا يريد أن يتدخل فيما لا يعنيه، هكذا تعود الجيساس أقوى مخلوقات الجن.

شاهدهم يتقاتلون ويسقط من يسقط منهم على الأرض ميتًا؛ فتتبعثر أشلاءه؛ ثم تتجمع وكأن لكل جزء منها حياة مستقلة ليعود المخلوف كما كان، قبيحون

بوجه ضخم به ممسات ضخمة تتحرك بشكل مقزز، هيئتهم مقبضة كئيبة، وحان وقت حصاد رؤوسهم، فهو الأقوى في عالم الجن الذي لا يملك إلا الطاعة للخالق.

لا يعلم الجيساس سبب تسميته، ولكنه لا يخاف أو يهاب إلا الله ولهذا طلب منه قائده عزازيل أن يطهر الأرض من هذه المخلوقات التي لم يرَ مثلها في وحشيتها، أيقتلون أنفسهم وبني جنسهم؟ لا يتخيل أن يكون هناك مخلوقٌ يفعل هذا!

دارت العديد من التساؤلات في عقله وهو لا زال يقف حتى ينتهي حضور باقي جيشه، ما مصير الأرض بعد تطهيرها؟ هل تعمرها قبائل الجان أم سيكون لها شأن آخر؟ لا يعلم، ولكن دوره مرسوم فقط بالنجاح في دحر الشر ومحاصرته؛ ثم القضاء عليه، لكن هناك إحساس من داخله لا يعلم كيف؛ يقول له إن هذا المكان سيكون له شأن كبير فيما بعد.

تعود أن كل شيء له حسابٌ وسببٌ، وإلا لماذا خلق الله هذه الأرض؟!

نظر خلفه ليرى جيشه، مئات الآلاف بدأت أجسادهم الضخمة تظهر، مخلوقات من أقوى قبائل الجن لكل منهم قوة مختلفة استعدادًا للمواجهة الكبرى، قاطع تفكيره أحد أتباعه الذي اقترب منه حتى

وقف بجانبه وأشار له دون أن يتحدث إلى جبل بعيد للغاية، ولكنه يظهر بوضوح بسبب الغيوم السوداء أعلاه التي تكسر صفاء السماء وزرقتها الجميلة، كأنه خطيئة هذه الأرض الواسعة خاصةً مع البرق الأسود والأحمر اللذان يضربان الجبل من آن لآخر ، ولكنهما لا يفتتان صخوره؛ بل وكأن هذه القوى الطبيعية تداعبه فقط!

وجه نظره صوب الجبل وهو مستغرقٌ في التفكير دون أن يرد على تابعه، هذه المعركة بالتحديد ستكون الأقوى، هناك حيث يكمن الشر متجسدًا، خيان، الكيان الأقوى بين هذه المخلوقات، الكائن الذي يمتلك قدراتٍ فائقة يعلم إنها تحدٍ كبير بالنسبة له ولأتباعه، لكنه أيضًا يعلم إن هناك سبيلًا للفوز عليه ولكنه سيحتاج إلى صبرٍ وحكمةٍ ويقين بالنصر إلى أبعد حد.

الخيان هو خليط من الخن والحن ولكن لديه أربعة ممسات مما يعطيه سرعة وقوة، ويتغذى من الخوف مهما كان مصدره حتى خوف أتباعه، يعيش في الماء والهواء واليابسة برأسه الضخم الذي يحمل بعض فروع الشجر الصغيرة القادرة على القتل بسمٍ لا مثيل له، وله جسد ضخم وقرنان باللون الأسود.

هذا المخلوق قادر على كل شيء إلا إحياء الموتى، قدراته بها ما لا أذن سمعت ولا عين رأت، شرّ أمره عزازيل ألا يقتله؛ بل يُكبله بسلاسل وأصفاد صنعتها الملائكة والجن خصيصًا، كافية لتقييده ومنعه من المزيد من الشر والتدمير في هذه الأرض، لماذا أمره عزازيل ألا يقتل مصدر الشرور؟ فكر كثيرًا وسأله مرة قبل أن يهبط الأرض؛ لكنه أجاب: إن لكل شيء سببًا، ولم يوضح المزيد.

حوله جبال ضخمة، بعضها لديه قمم تعانق السحب البيضاء، مختلفة ألوانها وأحجامها، جبال حمراء يتصاعد منها دخان ضخم وتفور، وأخرى خضراء تكتسي بطبيعة ونباتات غريبة ضخمة لم يرَ مثلها، وجبال أخرى أنهكتها ندرة المياه التي علم أنها سر حياة هذه الأرض وتحيط بالكتلة اليابسة الوحيدة، مياه لا نهاية لها وكأنها تحتضن هذا المكان.

بعض هذه الجبال بها كهوف وهي مأوى لكائنات الحن، ابتسم على تذكّرها من داخله فهي الأضعف على الأرض واختفت من مناطق الصراع خوفًا من بطش باقي المخلوقات، الميزة أنها لا تُبصر؛ وذلك لأنها تكيفت مع بيئتها المظلمة ولكن أصبح لديها قدرة على التحرك بسهولة في الأماكن شديدة العتمة والظلمة

وتعتمد في ذلك على مجسات متحركة في وجهها تتحسس بها طريقها.

عاد ببصره إلى الأسفل حيث المخلوقات لازالت تتقاتل وتفنى؛ ثم تعود وتستمر في القتال، عليه مواجهة الخن، وهم أكثر الأتباع انتماء إلى خيان الكائن في جبل الظلام، فهي أولى المخلوقات التي تحتوي على الدماء والقادرة على التكاثر، زواحف ضخمة تتغذى على الأموات والأحياء وتعيش قرب المياه.

معركة الجن معهم سهلة مقياسًا بباقي المخلوقات، فهم لا يستطيعون الطيران ولا يملكون ألسنة طويلة للصيد كما الخن، ربما سيثير غضب زعيمهم الموجود في الجبل بعد قتلهم ولكن لا يهم، هؤلاء خصص لهم ألفًا من جيشه فقط لمواجهتهم.

الخطة واضحة وأعادها على جيشه أكثر من مرة، قسمهم إلى دفعات، كل منها سيهجم في نفس الوقت، جيشه بالآلاف ولكنه لن يجازف بهم فهو يحتاج إلى الكثير منهم في معركة الشر الخالص، معركة خيان.

سيهجم أولًا على الأرض اليابسة بجيشه ويفترشها بالنار، هذه الشعلة الحمراء قادرة على تطهير كل شيء وأي شيء، كما أن النار ستكون كفيلة لمنع تكاثرهم ثانيةً بعد موتهم.

أما الجن في الكهوف فسيُدخل لهم قبيلة الأمناس وهم الأكثر قدرة على التحرك والقتال في الأماكن الضيقة، يتسمون بالسرعة البالغة ولا يحملون سيوفًا ضخمة، وسيطهرون الكهوف في أيام معدودات.

أما اليابسة فستستغرق وقتًا أكبر بسبب كبر حجمها ولكنها معركة محسومة، وبعدها يتبقى صاحب الجبل الأسود وهو ما سيحتاج إلى حصار قد يصل إلى شهور وضربات متتالية من النار والنور ومحاولات التسلق للدخول.

لقد طلب مساعدة الملائكة في هذه المواجهة تحديدًا لأن هذا الشر قد يستغل خوف بعض الجن منه فتزداد قوته لذا هو بحاجة إلى الملائكة فهم لا يعرفون الخوف إلا من الله بحكم تكوينهم النوراني.

لم ينتظر طويلًا؛ بل بدأ بعد أن تجسد جيشه كاملًا ليهبط من الجبل وكأنه غبار ضخم يفترش المكان وسط ذعر المخلوقات في الأسفل، هم لا يعرفون ما يوجهون ولكنهم وجدوا كائنات غريبة تخرج من الغبار وتهجم عليهم بسيوف بتارة ونيران تخرج من أيديهم ومخالب تمزقهم، تصاعد الصراخ والصرير ليشق عنان السماء من الكائنات الأرضية بعد أن بدأت حرب التطهير بهجوم كاسح، ضربات سيوف بتارة تطيح

بالكائنات وتبعثر الأشلاء معلنةً عن مولد حياة جديدة على الكوكب الذي عاثت فيه هذه المخلوقات فسادًا.

المعركة لم تكن سهلة، وسقط آلاف القتلى من الجن مقابل ملايين الكائنات التي تحتل الأرض وتفترشها.

حروب دارت وسط الجبال والغابات ذات الأشجار الطويلة التي تصل إلى السماء وتكاد تحجب أشعة الشمس عن الأرض، وشهدتها كائنات حية من مختلف الأنواع، ضخمة ودقيقة، طيور بجميع الأشكال.

حرب شبت وأشعلت الثلوج على أطراف الأرض، وشهدتها رمال الصحراء اللاهبة المتوعدة لمن يحكم الأرض.

أخيرًا، نجح الجيساس في مهمته وطهر اليابسة والماء ومن عليهما في شهر واحد تقريبًا، هو نجاح كبير بالنسبة إليه، لكن المعركة الأهم لم يصل إليها بعد، لتتوالى عليهم الأيام، شاهدوا خلالها قمرًا مستديرًا وأمطار تهطل وثلوج تكسو الأرض أثرت في قوتهم وأضاعت منهم بعض الوقت فهم من نار مهما كانت قوتهم.

شهر واحد ذهب فيه الجيساس بجيشه إلى كل شبر في الأرض الواسعة ذات الكتلة الواحدة وتحيطها

المياه وكأنها تغلفها، ولم يبق سوى جبل الظلام والشر، يقف وحيدًا شامخًا وسط الأرض التي استوت بحربٍ لن ولم تزَ مثيلًا لها.

جبال انهارت وكهوف تدمرت وبحار زاد منسوبها بعد أن امتلأت بالأشلاء وظل الجبل الأسود كما هو يتحدى الجميع، أما آن الآوان أن يسقط!

جبل الظلام

لماذا لم يهبط العليم بمعارف الظلام من جبله الضخم ويدافع عن أتباعه؟

سأل الجيساس هذا السؤال لنفسه وهو لا يعلم السبب، فهو يستبعد أن هذا المخلوف يخاف أو ينتظر نجدة، فمن يقدر على نجدة الشر وهو مصدره الوحيد؟

أسواط النار من الجان وضربات النور من الملائكة لا تقدر على إسقاط صخور جبل الظلام وكأنها راسخة في قعر الأرض، السيوف لا تقهقهره من مكانه أو تزحزح ترابه الناعم الأسود الذي كلما تساقط أو تطاير بعيدًا عاد برياح لا يدري من أين تأتي وتعيدها إلى الكيان المظلم وكأن ذرات الرمال تلبي نداء سيد المكان!

حاولوا التسلق، فكلما تسلقوه ضربتهم صاعقة أطاحت بهم إلى الأرض ثانيةً، ليستمر الحصار لأشهر!

حذره قائده عزازيل من المواجهة المباشرة مع خيان، وطلب منه تدمير الجبل ولكنه لا يعلم كيف؟ دعا الله أن يلهمه الحل وانتظر ولكن لم يجد الخلاص وسبيل النجاح، اجتمع مع قادة جيشه وطلب أفكارًا

للنصر ولكن الجميع لا يعلم ماذا يفعلون، هل فشل أم أن هناك حلًا لا يعلمه؟!

رغم اليأس الذي بدأ يضرب كيانه إلا أن هناك بعض الألفة تغلغلت إليه في هذه الأرض، من داخله لا يريد أن تنتهي المعركة سريعًا، يريد المكوث أكثر وأكثر على الأرض بليلها الرائع حقًا ونهارها الصافي وشمسها الحارقة وثلوجها التي تسحب منهم الطاقة، جميعها ظواهر تزيده نشوة وكأنها تقدم له الطاقة والسعادة والأمل في أن تصبح يومًا ملكه.

يشعر أن الأرض تتحول إلى فتنة لمن مثله ولكن هل يسمح له الله أن يعيش فيها ويعمرها مع قبائل الجن؟ سؤال راوده كثيرًا خاصةً بعد أن رأى بعض القبائل تعودت عليها ورأت فيه السكينة والملجأ الجديد.

في ليلة مظلمة لم يبدد سوداها إلا قمر ضخم ونجوم تتراص في السماء بتناسق مذهل؛ سرح فجأة، بل يخيل له أنه دخل في عالمٍ آخر!

وجد نفسه أمام خيان في مكان مظلم لا ينيره سوى نهر من النار، حاول أن يستل سيفه فلم يجده، غضب فحاول الهجوم عليه فلم يقدر، قدماه مثبتتان في الأرض وكأنهما مربوطتان بوتدٍ لا خلاص منه.

صرخ فيه أن يحرره وإلا سيرى غضب الجيساس وقبائل الجن؛ فضحك خيان ساخرًا، ضحك وسمع ضحكته في عقله فقط!

اقترب منه المسخ زاحفًا على أربعٍ، تخرج من جوانبه أفرع شجر تتلاعب مثل أفاعي الجحيم، لينظر له في عينيه وهو يسأله:

- لماذا لم تهاجمني في جبلي الأسود ما دمت شجاعًا يا جيساس، أم أنك لا تقدر على المواجهة أو ربما خائفًا؟!

لم يرد الجيساس، فهو نفسه لا يعلم كيف سيصل إليه ولكنه مأمور بذلك، فحاول أن يتماسك أمام هذا المسخ ليرد بحدة: سأفعل يومًا ما، وتابع محتدًا: بل اليوم سأفعلها.

ضحك خيان ثانيةً وهو يستدير ويتراجع إلى الخلف ويبدو ظهره مليئًا بالأفرع والفقاعات المقززة ويقول: الواقع يواجهه الواقع؛ أما علوم الباطن فلا يواجهها إلا مثلها، ثم التفت له ثانية ليسأله ساخرًا: هل معك معرفة تواجهني بها؟

استيقظ الجيساس فجأة، وهو ينتفض من رؤياه التي أتى فيها الخيان، تلفت حوله، لا زال في العراء.

صحراء ممتدة إلى مالا نهاية وفوقه القمر لا زال كاملًا، أما الجبل فكان أمامهم شامخًا كما هو.

فكر في علوم الباطن، هل هي البديل حقًا للفوز، ولماذا أعطى له خيان الإجابة بهذه السهولة؟ هذا المسخ بالتأكيد لا يريد أن يموت!

أيام مرت وهو على نفس الحال، لم يصله أي جديد من قائده عزازيل، ولا زالت الأرض فتنة له ولمن معه، يزداد تمسكًا بها يومًا بعد يوم، تساءل متى سينهي كل ذلك، فقد فاض صبره ولكن الإجابة لم تأت إلى عقله، بل كل ما كان يفكر فيه هو مقولة خيان، علوم الباطن لا يواجهها إلا المعرفة!

تيقن الجيساس من أن حل التطهير الشامل للأرض هو المعرفة، ولكن تبقى فقط من يعلمه إياها، هو لا يعلم إلا واحدًا فقط لديه المعرفة ولكنه منبوذ في البحار ولا يوجد لديه أوامر بالاحتكاك به أو حتى الوصول له، القزاع!

يتذكر يوم نزولهم وقبل معركة التطهير، حيث شاهده يتسلل إلى جبل الظلام ليلًا ويسجد أمامه!

صُدم، غضب، لم يدر بنفسه إلا وهو يذهب إليه بسرعة خارقة ويحمله من رقبته المعلقة عليها سلسلة سوداء كدلالة على قبيلته ويطير به إلى الأعلى غضبًا

ثم يهبط به إلى الأرض بسرعة ويصدمه في صخورها وترابها.

ضحك حينها القزاع، سخر منه، ليستل الجيساس سيفه وقبل أن يتهمه بالكفر ويقتله؛ سأله بغضب عن سبب فعلته، ليجيبه أنه يريد التعلم ليصبح عليمًا مثل سيد الجبل الأسود، وحينها فقط ستنتهي المعركة وينتصرون!

لم يصدقه، ولكنه أيضًا لم يكْذبه، الحرب خدعة بالنسبة له، ولكن هم لم يقربوا الجبل بعد ولا يدري مدى صعوبة اقتحامه، لينهض ويشير إليه أن يذهب متوعدًا إياه إن رآه أن يقتله، لكن من داخله علم أن المخلوق من نار اختار صف خيان وسيتعلم منه علوم الباطن ويتشرب من فتنة الأرض.

أمر بعض الجان بمراقبته فعلم أنه اختار البحر سكنًا له، فتركه وانشغل بمعركته ولكنه علم أنه قد يحتاجه يومًا، وها قد جاء اليوم.

تفكير طويل ولكن لا حل يجده سواه، كثيرًا ما كان يقف فوق الجبال، ويتحدث مع خالقه عن سبب وجوده وهو لا يعلم ماذا سيفعل بعد ذلك، ولكن لم يجد إشارة لما يفعله، حتى عزازيل توقف عن تحديد خطواته وكأنه يختبره، فهل سينجح في الاختبار؟!

المعرفة

مياه صافية للغاية قبل أن يلوثها البشر تعكس مشهدًا بديعًا يدل على قدرة الخالق، مع ألوان يمتزج فيها الأزرق باللون اللبني، مع شفافية وكأنها نسخة معكوسة من السماء، ووسط هذا الصفاء هناك نقطة تطير أعلى المياه وكأنها تبحث عن شيء ما، ليست بطائر من مخلوقات الأرض، بل شيء آخر!

مع الاقتراب قليلًا تتضح ملامحه، سيفه خلف ظهره يعكس أشعة الشمس، إنه الجيساس وينادي بصوت عالٍ على القزاع عسى أن يعطيه إشارة الوجود لينهل منه العلم والمعرفة.

يدور في الفلك منذ أيام عسى أن يُجيبه المنبوذ في البحار ويقوده إلى النصر المبين، يريد الراحة من فتنة الأرض والخيان الذي يأتي إليه من آن لآخر ويسخر منه؛ ثم يستيقظ من غفوته اللا إرادية.

كاد أن ينهكه ألم الفشل وضاقت أيامه بما رحبت، كل يوم بأملٍ جديد يتحطم ليلًا بعد فشله في العثور عليه، لكن ربما هذه المرة تختلف، بل إنها اختلفت

بالفعل بعد أن شاهد الجبل الأسود الضخم الذي يتوسط المحيط ويحيطه البرق!

لو لم يكن هذا منزل القزاع، فملك من؟

اقترب منه سريعًا وحاول الطيران فوقه ولكن لم يقدر ولم يعلم السبب وكأنه شُل في الهواء ولا يقدر إلا على الدوران حوله كما الجبل الآخر، ليهبط وخلال ثوان كان واقفًا أسفله ينادي للسماح له بالصعود.

لم يحس بنفسه إلا وهو داخل المكان، لا يعلم كيف، ولكنه كان ينادي على القزاع فأحس بتيار بارد للغاية كبّله؛ ثم ما يبدو إنها دوامة دارت به وفي نهايتها وجد نفسه في قاعة ضخمة مظلمة إلا من أخشاب سوداء بها مواد لزجة لا يدري ما هي وبها نار تضيء بعض المكان.

تلفت حوله، صخور مدببة في أعلى الكهف ومياه حارة للغاية تسيل من الجانب وتقطع المكان لتصب في حفرة بالجانب الآخر وكأنها نهر صغير ومقابلها نهر مثله تتوسطه قطع ثلجية، وأيضًا تُصب في الجانب الآخر، النهر الثالث كان مفاجأة، لونه أحمر قاني كما الدم!

اشتم رائحة خبيثة في المكان ولكن لم يجد مصدرها، ولفتت نظره الأشكال الغريبة المرسومة

حوله، بعضها على الجدار وأخرى على السقف والأرض، أشكال مرعبة لكائنات لم يرَ مثلها من قبل، ورموز اقشعر منها جسده، رغم أنه لم يعلمها أو يقرأها فهو لا يعرف القراءة، ماذا تعني بالأساس؟!

أحس إن المكان يحمل من الشر ما جعل روحه تنتفض داخله وتريد الخلاص، هل يمكن لجني مثله أن يموت خوفًا؟! لو كانت الإجابة بنعم فهي كارثة، ولكنه رغم ذلك يحس أنه قد يسقط ميتًا من طاقة غريبة تنتشر حوله وكأنها تسحب منه قوته!

خر على الأرض بالفعل، هناك من يسحب قوته، حاول أن يستدير للخروج فلم يقدر، نظر خلفه فلم يرَ أي مخرج، المكان بلا مخارج تمامًا، فكيف دخل؟

لا يقدر على التفكير للبحث عن إجابة، فيكفي ما هو فيه، هل سيموت؟ بل هل سيموت وهو في رحمة الخالق أم أن عنده وفضوله وحبه للنصر مهما كان الثمن أطاحا به خارج الطاعة؟ لو كانت لديه دموع لبكى خوفًا ولكنه مخلوق من نار، فكيف يبكي؟!

- مرحبًا

قالها صوت من خلفه، فالتفت ببطء وهو يحاول النهوض فلم يقدر، بل لم يستطع الرد وكأن كلماته نفدت مع طاقته وروحه!

- يبدو أنك لا تستمتع بالمكان يا جيساس!

أراد أن يبتسم ساخرًا ولكن لم تراوده مشاعره؛ فظل كما هو جامدًا يحاول ألا يركع أمام القزاع.

- أعلم ما يدور في ذهنك، تريد الخلاص من خيان أليس كذلك؟

لم ينتظر القزاع ردًا من الجيساس الذي استند على ركبته الضخمة، وثقل سيفيه يزيدانه ألمًا ليزيد:

- ما دمت وصلت إلى هنا، فأنت تريد أن تعلم علوم الباطن لدخول الجبل وإنجاح مهمتك.

دار حوله والجيساس على الأرض راكعًا وسأله وهو يقرب رأسه الضخمة منه: ما الذي يجعلني أساعدك؟

حاول الجيساس أن يتحدث فلم يقدر، ليتدخل القزاع وهو يردد ببرود: «فيكاي نيمالون يرو» لينتفض جسد الجيساس بعنف ويشهق.

عادت له طاقته بالكامل ولكنه ظل مكبلًا في مكانه بقيود غير مرئية، لكن لا يهم فالمطلوب الآن هو الاتفاق والفوز على خيان، وتعلم المعرفة ولو كلفه ذلك روحه!

لم يكن يدري وهو يفكر في الأمر أنه سيكلفه روحه بالفعل، يشعر من داخله أن هذا المكان اللعين

يُخرج الإيمان من روحه، بل ينتزعه انتزاعًا ويحل بدلًا منه ظلام وكراهية تجاه كل شيء حتى نفسه!

قال بصوت متماسك:

- أريد المعرفة؟

- لماذا؟!

صمت وهو لا يقدر على الرد.

- لماذا يا جيساس تريد المعرفة؟

لم يرد أيضًا، ليزيد القزاع بصوت غاضب:

- قلها، أنت تريد المعرفة للسيطرة، لا يهمك خيان بل لا يهمك أي شيء سوى الأرض، هل تريدها يا جيساس؟!

تمتم بصوت غير مسموع:

- نعم.

- لا أسمعك جيدًا، هل تريدها؟

صرخ الجيساس بغضب:

- قلت لك نعم، أريدها.

قابله صمت لثوان ثم رد:

- لك ما أردت.

سقط الجيساس في الفخ بالفعل، أصبح مدمنًا على المعرفة، وكلما مر يوم يفقد جزءًا من روحه، وفي المقابل يشعر بالقوة تسري في كيانه، يشعر أن هيئته

بدأت في التغير ليصبح لديه ما يشبه العظام، يتحول إلى مخلوق آخر لا يدري ما هو!

القزاع لعبها جيدًا وهو أخطأ بدخوله إلى المكان الملعون الذي سيطر عليه، لكن لم يكن أمامه خيارًا آخر، فلا شيء يواجه المعرفة إلا المعرفة وهو ما فعله، كان يبرر لنفسه دومًا بهذا الحديث ليحاول أن يطرد أي مشاعر داخله قد تدفعه للتراجع.

تعلم استدعاء مخلوقات غريبة تسكن في أكوان أخرى، علم أن هناك أكوان عديدة تفصل بينها وبين بعضها البعض بوابات، بعضها يستحيل فتحه إلا بقوى لا يقدر عليها مخلوق، وأخرى سهلة يسيرة تقود إلى عوالم ضعيفة، كما تعلم السيطرة على الماء والنار والتراب، لمدة ٣ أسابيع ترك جيشه والكون بأكلمه ليتفرغ للتعلم حتى أيقن أن قوته لا يضاهيها شيء حتى القزاع نفسه.

من داخله يعلم الجيساس أنه أخطأ بتعلم السحر، لكن زادت خطيئته بالقضاء على من علمه، نفى القزاع الساحر الملعون، ولكن لماذا شعر أن القزاع كان يتوقع هذا بل واستسلم له وكأن له دورًا أنهاه وهو أن يعلمه السحر فقط!

لم يكن يريد الدخول في مواجهة مباشرة معه، بل لجأ إلى الخديعة، واستغل لحظات ترانيم استدعاء كان ينفذها القزاع؛ ثم فتح فجوة تقوده إلى عالم آخر ليصبح منفيًا إلى الأبد، عالم وضع عليه طلاسم عديدة تمنع دخوله ثانية إلى الأرض أو فتح البوابة من جهته.

بعدها تبقت فقط خطوة استدعاء المئات من أعتى الكيانات في الأكوان التي تواصل معها.

عالم الظلام كان أهمهم، لا يحمل أي ضوء أو نور، مظلم ككقلبه. بمجرد أن فتح الفجوة لم يجد أمامه سوى الظلام فقط، لينتظر ٣ أيام كاملة حتى تبدأ الكيانات في الخروج منه إلى سجنها الذي وضعه مقابل الفجوة للسيطرة عليهم.

تسللوا ببطء خبيث، بل للدقة، انسالوا كما الهلام، ولكنه صُدم في البداية منهم!

لديهم قدرة على التشكل بحسب مخاوف من أمامهم، شاهد أمامه قائده عزازيل!

كانت صدمة، ولكنه سرعان ما تغلب عليها، ودق على الأرض بقدمه وتلا كلمات السيطرة والتعذيب ليتصاعد صوت صفير حاد في المكان وتبدأ الكيانات في الدخول بهيئتها الحقيقية، كتل سوداء لزجة.

استمر مرورهم إلى الأرض ساعات، ثم في اليوم التالي حتى حلول ليل الأرض ثم صنع دوامة من النار بسرعة كبيرة للغاية كفيلة بصنع دوامة أخرى تقودهم إلى مكان الجبل الأسود حيث غريمه خيان، لينقلهم بالفعل.

ذهب مباشرة إلى الجبل المُحاصر ليستقبله جيشه بالترحيب والسؤال ولكنه لم يجبهم عن أي شيء، بل طلب منهم الابتعاد عن الجبل تمامًا وعدم الحضور مهما حدث وهو ما نفذوه، فلا يملكون إلا الطاعة لقائدهم ولو كان يتصرف بغرابة!

لم يتمهل الجيساس بل حاصر الجبل بكيانات الظلام؛ ثم بدأ تلاوة كلمات تعلمها أوقفت ضربات الصواعق في الجبل، ليصعد ومعه بعض الكيانات استعدادًا للمواجهة الحاسمة، وهذه المرة لم يجد ضربات تُسقطه من أعلاه، يبدو أنه اكتسب قوى خارقة بالفعل.

طوال رحلة تسلقه تساءل كثيرًا عما سيفعله بعد القضاء على خيان؟ هو نفسه لا يعلم، بل إن الأمر كان تحديًا بالنسبة له واستعراض لقواه الجديدة فقط، الحجارة تشتعل من أسفل أقدامه كلما خطى فوقها، إحساس القوة البالغة يعمي القلوب والأبصار؛ بل يغلف

الروح بطبقات متتالية من الظلام حتى تختفي الآمال والمحبة، التراب يُزاح أمامه ليقدم له مسارًا للصعود، ماء البحر مقابل الجبليفور ويتموج سعادةً بالجيساس السيد الجديد، كم أعجبته القوة!

لم يكن يعلم أن الجبل طويل وضخم بهذا الشكل، لأيام ظل يصعد ويدور!

مهلًا، هو يدور في دائرة مفرغة!

شاهد هذه الصخور والتكوينات من قبل!

توقف وأسند سيفيه على الأرض ليفكر. خيان أدخله في متاهة لا يعلم الفكاك منها، لكنه قرر تنفيذ تجربة أخرى علها تساعده.

وضع يديه على صخور الجبل وتلا كلمات لتدميرها، انفجرت وكاد أن يسقط من الأعلى ولكنه تمسك بالصخور والضحية كانت هلاك أربعة من كيانات الظلام.

لم تنجح الطريقة، ليفكر في أخرى!

في العلوم التي تعلمها، التضحية أساس كل شيء.

هكذا فكر ولكن السؤال هو بمن يضحي؟ الإجابة في رأسه ولكنه لا يعلم هل ينفذها أم لا؟ معه عشرات الكيانات، فهل يضحي بجنوده الجدد ويظل وحيدًا في مواجهة الخن؟

من داخله يقين أنه لا بديل أمامه، فطلب منهم الوقوف صفًا في مواجهته مقابل جدار في الجبل ثم ردد ترانيم التضحية في سره ودفع طاقة الظلام نحوهم ليلتقط بيديه أرواحهم ويقبضها بيده لتنهار كيانات الظلام أمامه أرضًا ويتصاعد الغبار حولهم؛ ثم أطلق كلمات أخرى لفتح الجبل لتتساقط الصخور حوله ويبدأ ما يبدو بابًا يُفتح في الجبل.

توقف لحظات، هناك قوة مضادة وكأنها تعارضه وتحاول غلق الباب، خيان بالطبع يحاول ذلك ولكنه هذه المرة لن يفشل، فلا بديل أمامه ليدفع جسده بقوة في الجدار غير المرئي ليتصاعد الشرار حول حواف جسده، ثم صوت فرقعة عالية تلاها صمت تام!

هل دخل أم مات؟

لا يعلم، لكنه لا يحس بشيء، وكأنه في منطقة معدومة الزمن والمكان، الظلام الدامس حوله ولا صوت تمامًا إلا أنفاسه التي لم يعتدها من قبل عندما أتى إلى الأرض، يبدو أنه يتحول إلى كيان آخر، إنه يتحول سريعًا إلى شيء غامض لا يعلم ما هو!

حاول النهوض؛ لكنه لا يرى موضعًا لقدم أو سبيل لحركة، فألقى كلمات النور عسى أن تزيح بعض الظلام،

فاشتعلت يداه نورًا أبيض سرعان ما بهت ولكنه تبين ملامح المكان في ثوانٍ معدودات.

يقف وحده في مكان واسع يشبه الجبل الذي تعلم فيه السحر، دوت ضحكة ساخرة عالية فتلفت حوله وبدأ بإلقاء كلمات الهلاك والموت ولكن لا أحد معه، بحث عن سيفه فتذكر أنه نساه في الخارج، هي معركة المعرفة فقط وهو كفيل بها ولكن عليه أولًا مواجهة عدوه.

سمع صوت خطوات قادمة باتجاهه ونور ساطع أغشى عينيه للحظات، فأغلقها ثم فتحها ليجد نفسه!

جيساس يشبهه تمامًا وكأنه نسخة متطابقة يقف أمامه!

حدق فيه متعجبًا وقال: من أنت؟

أجابه شبيهه: بل من أنت؟

أجاب: أنا الجيساس

رد الآخر ببرود وهو يقترب منه: وأنا أيضًا

وزاد: لماذا خرجت عن رحمة الخالق؟

رد الجيساس بحسم:

- لم أفعل.

قاطعه الشبيه:

- بل فعلت.

- لا، بل أنفذ مشيئته، كان مطلوباً مني تطهير الأرض وها أنا أفعل.

رد شبيهه بحدة:

- كاذب، تفعلها لنفسك، أغراك رمالها وسماؤها وماؤها، أغرتك فتنتها، فسقطت فيها صريعًا ونسيت دورك وما أرسلت من أجله.

صرخ الجيساس وهو يقذفه بنار من يديه:

- لا تحدثني هكذا، أنا مشيئة الخالق في الأرض.

مرت كرة النار من الجيساس وكأنه سراب ليقترب أكثر وكأنه يتحداه:

- أنت في جميع الأحوال مشيئته، فلا يتم أمر إلا بأمره، لكن كانت أوامره أن تطهرها للآخرين وليس لأجلك أنت ومن معك.

استمر الجيساس في صراخه:

- من الآخرون، لا يوجد سوانا، نحن الأحق بها، وزاد في غضبه: نحن الأحق.

رد شبيهه: لم نكن يومًا الأحق، وأنت تعلمت المعرفة المحرمة رغم أن عزازيل أمرك ألا تقرب منهم.

ضحك الجيساس ضحكة قصيرة ورد ساخرًا: عزازيل كان خائفًا ليس أكثر.

قاطعه شبيهه بحدة: إنه قائدك.

قال الجيساس متحديًا: كان كذلك، سيادة هذه الأرض للأقوى، لي أنا.

رد شبيهه بصوت خافت وكأنه يلومه: إن فعلت فلا سبيل لك بالعودة من طريقك.

تراجع الجيساس إلى الخلف خطوة وقال:

- أتقبل مصيري.

ثم تلا كلمات الهلاك، وقذف شبيهه بقيود من النار وسحب الصخور والأتربة من الأرض لتضرب الجسد الضخم أمامه وهو يردد: دع الأيام تحكم، ثم زاد وهو يصرخ بغضب: الأرض لي أنا.

ثوان وهدأ كل شيء وسط صدى صوته الذي لا زال يتردد في المكان بشكل يخفت تدريجيًا، دالًا على جنون ازداد وجعله يشتعل غضبًا، حيث بدأ يتنفس بصوت عال وهو يفكر فيما حدث من هذا أهو ضميره متجسدًا أم قوى أخرى غير ذلك، هل كانت فرصته الأخيرة بالفعل؟!

مهما كان لن يسمح لأي شيء أن يُخرجه عن مساره، نهض وبدأ التحرك ثانية في المكان، وقد بدأ الظلام ينقشع ويعطي لمحات واضحة، نادى بصوت عالٍ على خيان فلم يجد سوى صدى صوت عالٍ غاضب يرد عليه.

استشاط غيظًا فركل الصخور وأخرج بطون الأرض وقذف نيرانه في جميع الاتجاهات فلم يجد سوى ضحكات ساخرة تتعالى من حوله دون أن يظهر صاحبها وكأنه يتعمد استفزازه.

وجد أمامه طريقان، الأول مظلم والثاني مضيء، ليقرر السير في المظلم فالتأكيد سيكون مكانًا أفضل لاختباء خيان.

سار حتى بدأت تضيق عليه الصخور ولكن في النهاية كانت الانفراجة بقاعة واسعة، نفس القاعة التي تعلم فيها السحر، ما الذي أتى بها إلى هنا!

تلفت حوله ليجد خيان يتحرك قادمًا من نفق مظلم، بأشجاره المسمومة المتشعبة من كيانه وممساته المقززة.

حدّثه ولكن بدون فم أو رأس وكانت الكلمات تدخل إلى عقله مباشرة ولا يعلم كيف.

- مرحبًا بالجيساس سيد الظلام الجديد.
- لست سيد الظلام ولا أريد هذا المسمى الملعون.

ضحك خيان ساخرًا وهو يتسلق صخور القبو إلى السقف وكأنه يتحدى الجاذبية ويقول: ولكنك كذلك، لكني صدقًا أرى فيك مستقبل هذه الأرض القاحلة، ثم

اختفى فجأة وظهر أمام الجيساس الذي تراجع خوفًا وهو يقول بنبرة ساخرة:

- ألا تريد هذا؟!

ثم دفع الجساس بممساته ليضرب بجسده حائط الجبل بقوة ويسقط أرضًا وسط غبار يتناثر حوله راسمًا صورة لمعركة على وشك البدء.

نهض الجيساس غاضبًا، وهو يتفوه بكلمات يحفظها عن ظهر قلب، ويقول بحسم حمل بعض الغضب والخوف:

- نعم أريدها وسأقضي عليك.

ثم قذفه بالنيران وأطلق من يديه سلاسل من النور التفت حول جسد خيان وكبلته في الأرض وهو ما زال يضحك ساخرًا: ألا تعلم أنك لا يمكنك قتلي؟

وقف الجيساس وعيناه تشتعلان بنيران الحقد: أعلم أني مأمور بعدم قتلك ولكني سأكبلك بسلاسل الجن والملائكة وبعدها سأدفنك في هذا المكان المعلون، ثم أتبع قوله بأن رفع يديه إلى الأعلى لتخرج من الأرض سلاسل نارية وكأن لها روحًا خاصة بها تحركت بسرعة وكبلت المسخ على الأرض وطوقته لتهبط به إلى الأرض وهي تضغط على كيانه الضخم.

الصخور تتفتت من أسفله فلم يجد خيان سوى أن يلقي ورقته الأخيرة في وجه الجيساس بسؤال أراد به تضييع المزيد من الوقت:

- ألا تريد أن تعلم أين أنت؟

أشار الجيساس بيده إلى خيان ليتوقف جسده عن الدفن في الأرض... هو يعلم أن هناك شيء غير مفهوم في المكان، ليرد بفضول تغلب عليه:

- نعم! نحن في جبلك الأسود.

سمع صوت خيان يضحك في عقله وهو يقول بجدل:

- نعم، حيث تعلمت العلوم المحرمة، بل حيث علمتك أنا هذه العلوم.

توقف الجيساس مذهولًا غير مصدق لما يسمع:

- ماذا؟

دخل صوت خيان الهادئ عقله بسؤال جعل كيانه يشتعل بعدم الفهم:

- ألا تعلم أني القزاع؟

المفاجآت لا تتوقف، ليرد بصوت خافت مكتوم بعض الشيء:

- كيف؟!

ضحك خيان بصوت عال شتت أي محاولة للجيساس لجمع ما تبعثر من تفكيره:

- لم تتعلم كل شيء يا جيساس، ما زال أمامك علم الكون، أستطيع أن أعلمك كيف تستنسخ نفسك ليكون لك جسد آخر بلا روح مع إرادة مستقلة ولكنه طوع أمرك، غلاف آخر لو أردت الدقة.

وتابع بصوت مغرٍ وكأنه يسلب إرادته:

- القزاع لجأ إلي وأنا لا أثق في أحد سواي، فقتلته ولكني استغللت هيئته ليكون نسخة مني وقت الحاجة، ويبدو إنني كنت على صواب، وأنت عندما أتيت إلى جبل الظلام في البحر أدخلتك إليه، ثم نقلتك إلى هنا وتلاعبت بك.

زاد صوته حدة:

- كنت أعلم خطتك وتركتك تنفي جسدي الآخر الشبيه -القزاع- حتى تفرح بالنصر وتأتي إلي لأعلمك المزيد، تأتي إلي لنحكم سويًا، نسيطر، نصنع عالمًا لا يوجد له مثيل، معًا يا جيساس يمكننا حكم الأرض والسيطرة، سنواجه سويًا كل شيء.

نظر الجيساس طويلًا إلى خيان، ثم قال وهو يهبط بيديه في الهواء بحدة:

- سأنصحك، لا تأمن لعليم بالباطن لأنه كاذب وإن ادعى غير ذلك.

تعالى صوت صراخ خيان وهو يهبط بسرعة إلى الأرض بعد أن قرر الجيساس نفيه في الحفرة الضخمة التي تشكلت أسفله، ليردد وهو يُدفن فيها:

- سأعود، طاقتي لا تفنى، أنا لا أنتهي يا جيساس وإن انتهت الأرض بمن عليها سأستمر أنا.

اقترب الجيساس من خيان حتى أصبح أعلاه وتلا كلمات ذات مخارج ألفاظ غريبة، ثم نظر إلى ذراعه الذي بدت عليه كلمات أخرى تُحفر فيه وكأنها وشوم، ثم وضع يده في مواجهة خيان واستكمل قول الكلمات بصوت بدأ يتصاعد تدريجيًا بشكل مخيف لتخرج من يده ما يبدو إنها طلقة مدفع على هيئة سلاسل التفت حول خيان تمامًا وأخذت تعتصره بشكل بشع ليتعالى صوت طقطقة أخشاب وصراخ مدو للكائن الملعون وهو يتألم ويتوعد، ثم تفتت تمامًا وبدأت الصخور والأتربة تنهال عليه حتى دفنته تمامًا أسفلها معلنةً انتهاء حقبته.

أتم الجيساس مهمته وتلا بعض الكلمات في المكان ثانية لضمان تكبيله إلى الأبد وحبسه في منفاه، ثم نزل مسرعًا من الجبل إلى أتباعه، كيانات الظلام التي لا زالت تحاصر المكان؛ ثم أمرهم بالصعود إلى الأعلى لحمايتهم، وخلال ثوان اختفوا من أمامه وتبقى وحيدًا ينظر حوله إلى الأرض الشاسعة ويفكر في مستقبلها، ويفكر في جملة قالها الخيان، ما معنى طاقته لا تفنى؟!

الفتنة

عاد إلى قبائل الجن على الأرض وأصبح حاكمًا عليهم بعد حبس خيان، حاول البعض منهم الرفض وتهديده باللجوء إلى عزازيل، فقلته، فهو لا يريد معارضة الآن، بل السيطرة الكاملة.

لديه يقين أن الخوف هو سبيل كل شيء والطريقة المثلى للسيطرة على الجميع، كما أنه ظن إنه طالما لم تتدخل السماء فهي راضية عما يفعله، فأعطى له هذا قوة إضافية أمام أتباعه، وكلما تحدث إليهم أشار إلى هذه النقطة تحديدًا ليمنع عنهم أي محاولة للتفكير فهو معه القدسية.

صدق عندما قال عن الأرض إنها فتنة، هو يعلم أنها كذلك واستسلم تمامًا لمشاعر السيطرة داخله حتى أتاه يومًا عزازيل!

جاءه ومعه نفر من الملائكة والجن. أتاه غاضبًا وهو يطلب منه الرحيل عن الأرض فرفض، قال له عزازيل حينها إنها ليست له، وخالف إرادة الجميع فصمت ولم يرد..

يرى في عين عزازيل المشتعلة بنيران الغضب أنه شاهد روحه السوداء المظلمة التي بدأت تسيطر عليه، علم أنه تعلم المعرفة، ولكن هل يعرف أنه خبأ كيانات الظلام في جبل الظلام؟توعده عزازيل بالعقاب وتركه مهلة ليفكر؛ لأن الحرب هذه المرة ستكون فانية له ولمن معه فوافق على المهلة وتركه حبيسًا لأفكاره.

هل يترك الأرض بعدما فعله وضحى؟ لا يعلم ولكنها كإكسير الحياة كلما ارتشف من مائها أو مس ترابها، لم يتخيل أن يبتعد عنها ولو بحرب شعواء أو حتى بفنائه، من مكث معه من الجن قلة لا تتعدى العشرة آلاف وكيانات تنتظر في الجبل لتحل ضيوفًا على معركة منتظرة، هذه المرة يعارض السماء لأجل الأرض ولكنه يعلم أنه خسر ونهايته ستكون سوداء في جميع الأحوال، فمن يقدر على مواجهة السماء ولو نال كل المعرفة؟!

الحرب

اصطف مئات الآلاف من الجن والملائكة على يمين جبل الظلام، واكتست السماء بدخان غريب يتصاعد من بعض الجبال، وكأنها غاضبة على حرب دخلت فيها دون إرادة، وزادت الشمس من حرارتها لتنافس اشتعال الموقف بين الطرفين، وفي المقابل وقف الجيساس ومعه جنده من الجان يستعدون للمعركة.

لكن هناك أولًا حديث يجب أن يتم بينه وبين عزازيل عله يرضى أن يترك له الأرض.

اقترب من جيش عزازيل ليتقدم له قائده حتى وقفا في مواجهة بعضهما البعض.

- أتركها لي.
- ليست لك.
- فعلت كل ما أستطيع لتكون لي.
- خالفت إرادة الخالق وإرادتي.
- هل كان علي تطهيرها لغيري؟!
- نعم.
- من هم؟

صمت عزازيل لثوان:

- لا يهم.
- تعلم إننا أولى بها.
- لكل منا دور في هذه الحياة، ودورك ليس هنا.

غضب الجيساس وقال منفعلًا:

- بل هنا، هي لي ولن أتركها.
- إنها الحرب إذن يا جيساس؟!
- لا بديل سيدي.
- هناك بدائل، لدينا رب رحيم.
- ولكني سأكون منفيًا عن هذا المكان.
- سأعيدها عليك لآخر مرة، الأرض ليس لك، بل لآخرين.
- مهما يكن أنا من طهرتها ودفعت ثمنًا لها.
- روحك؟
- نعم.
- أصبحت عليمًا بمعرفة الظلام وتتحكم بك قوى الشر.
- لم يكن أمامي بديلًا، الجميع يخطئ حتى أنت سيدي قد تخطئ.
- ولكني لم أفعل.
- ربما تفعل يومًا.

عزازيل متعجبًا: أخطئ! أخالف الخالق؟!

- من يدري، الأرض فتنة.

صمت عزازيل لثوان؛ ثم رد بقول الحسم:

- إذًا انتهى الحديث بيننا.

تراجعت الأطراف لينتظر كل طرف أن يبدأ الآخر حتى أعلنها عزازيل قبل رحيله عن الأرض لتدور المعركة التي لن ترى الأرض مثلها، تهاوى الجن المشاركين إلى جانب الجيساس وبقي وحيدًا يحارب ويواجه جيش عزازيل بالمعرفة..

يطيح بالصخور عليهم ويبيفيض بمياه البحر ليغرق بعضهم، ويطير فوقهم بسيفه البتار حتى أنهكته المعركة، فدعا كيانات الظلام للنزول وشاركوا في الحرب، استغلوا قدرتهم على خلق الوهم لصنع كائنات غريبة ضخمة تواجه الجن ولكن لم تؤثر في الوضع كثيرًا، الكثرة حسمت الموقف لتنتهي المعركة بتقييد الجيساس بقيود الملائكة والجن التي لم تفلح معها المعرفة ليُدفن في أرض المعركة حيًا وينتهي فصل لم يذكره التاريخ لمن هم قادمين ضيوفًا جددًا على هذه الأرض.

أما الكيانات فقُتل غالبيتها وتبقى بعضهم وهربوا داخل الجبل الأسود إلى يوم معلوم.

مصر القديمة

بعث ضوء القمر المكتمل ضياءً أبيض ينير صحراء مصر على استحياء؛ راسمًا ظلًا لحيوانٍ وقف أعلى ربوةٍ عالية يراقب ذلك الاجتماع في الأسفل. يرى أكثر من عشرين رجلًا وأنثى راسمين بأجسامهم نجمةً ضخمة داخلها رجل عاري الجذع يتمدد على الأرض الرملية متجاهلًا البرودة القارسة.

بترتيبٍ واحد ودون أدنى خطأ رفعوا أيديهم ثم أنزلوها وهم يلوحون بها إلى الأعلى ثم إلى الأسفل وكأنهم يؤدون طقوسًا ما، فيما رسمت ظلالهم ملامح مخيفة لما سيحدث لاحقًا.

حولهم مشاعل موزعة يبدو ضوءها وكأنه وهمٌ لا يُضيء ما حوله بل يبعث ضوؤها فقط ما يحدد مواقعها الموزعة بعناية وهي مغروسة بعصيّ في الرمال.

تعود كثيرًا أن يرى الغرائب منذ أن ولد في هذا البلد، ولكن مشهدهم وهم يصرخون وينتفضون فجأة ثم يسقطون أرضًا دون نطقٍ أو حركةٍ وكأنهم فقدوا الحياة؛ جعل قلبه يرتجف خوفًا، خاصةً مع نهوض

الرجل الذي توسطهم من رقدته ووقوفه بشكلٍ آلي مخالف للطبيعة البشرية؛ وهو ما جعله يعوي بصوت عالٍ ويسابق الريح ركضًا وسط الصحراء القاحلة إلى حيث يرى ضوء المعابد والهرم قدس الأقداس حيث سيده لينقل له ما حدث!

•

بأنامله الطويلة التي يتوسطها خاتم ذهبي عليه حفرٌ لرسومٍ غريبة؛ وقف كبير الكهنة المرتلين في بيت العلم يُدرس للطلبة بعض أسرار السحر ومواجهة أشهر الأمراض التي تصيب العامة، تهيئةً لهم لتخريجهم ومباشرة عملهم في مساعدة المصريين بالخارج.

أحس بوجود شخصٍ غريب خلفه واقفًا على باب غرفة العلم فنظر ليراه، «عا كارع» تلميذه النجيب الذي يثق فيه والذي أصبح الآن مُعلمًا قديرًا، نظر له بغضب وهو يرى خلفه ذئبه، ففهم «عا كارع» وأشار إلى حيوانه للذهاب إلى الخارج، فيما اعتذر كبير الكهنة للطلاب الجالسين القرفصاء أمامه بجذعهم العاري النحيل وخرج ليرى ما الأمر.

بمجرد خروجه خر «عا كارع» على الأرض معتذرًا عن دخوله إلى غرفة العلم دون إذنٍ وبحيوانه؛ ليشير له كبير الكهنة بيديه دافعًا الآخر للحديث عما جرى..

نهض «عا كارع» وهو يمسح عرقًا بسيطًا بدأ ينبت على رأسه الأصلع ويقول: نفذت كما أمرت سيدي كبير الكهنة وراقبت بعض العامة الذين أشك في تصرفاتهم، وجدتهم يذهبون إلى الصحراء ليلًا فتعجبت ولكن بعدها وجدت المزيد يتحركون باتجاه الصحراء في أوقاتٍ متباينة كي لا يشك فيهم أحد فأرسلت «الطاي» وراقبهم من أعلى تبةٍ رمليةٍ بعد عدة كيلو مترات من المعبد المقدس وهناك شاهدتهم يلتقون ثانية، ولكن هذه المرة العدد أكبر ويتوسطهم اللعين «بحتي» ونفذوا المزيد من السحر المظلم لإخراج روح الشر وبالفعل سحب أرواحهم؛ بل وأحس بي وأرسل خلف «الطاي» طيور الموت لسفك دمه لكنه هرب منهم بأعجوبة.

نظر الكاهن الأكبر وكأنه يتفحص الأرض الرخامية ذات اللون الأسود وتتوسطها قطع بيضاء على هيئة زهرة اللوتس؛ ثم قال له بنبرة آمرة حاسمة:

- أجمع الكهنة، لقد فاض بنا الكيل ولن ننتظر المزيد من ألاعيب هذا الملعون.

•

انعكست أشعة الشمس الحارقة على الهرم الضخم للغاية أبيض اللون المحفور عليه العديد من الرسوم

التي تكشف طريقة بنائه، يقف حوله أكثر من مائة حارس وأمامه يقبع معبد كبير مغطى بأكمله من الزجاج لونه يحمل الغرابة، ويعلوه حيوانات بهيئة غريبة، نسر ضخم ذهبي وأسفله جسدٌ عضلي ضخم بلا رأس، وتتراص جانبه تماثيل أخرى لأسد برأس إنسان، ورأس أفعى بجسد ثور، وخرتيت بأربعة قرون تبدو حادةً للغاية..

تعود العامة الذي يتحركون ليلَ نهار أمام قدس الأقداس على هذا المشهد حتى ألفوه رغم غرابته ولم يجرؤ أحدهم على السؤال عنه، ربما لأنهم ألفوا السحر ورؤية السحرة رغم أنهم ممنوعون من تعلمه إلا في ظروف محددة للغاية وباختبارات لا ينجح فيها أحد إلا من لديه قدرات خاصة..

داخل الهرم؛ غرفة العلم التي يدرس فيها الطلاب من أبناء العائلة الملكية والسحرة، وهناك غرفة المحاكمات التي ينال فيها كل مخطئ عقابه، وأخرى لتنفيذ العقوبات وهي ممنوع دخولها إلا من الكهنة المرتلين فقط، بالإضافة إلى غرف أخرى عديدة مغلقة لا يعلمون سرها.

اليوم كان مختلفًا بالنسبة لهم؛ بسبب مرور العربة المطلية بالذهب الخالص ومزخرفة بقرون العاج

ويجرها خيلٌ أسود ضخم، توقفت أمام قدس الأقداس ثم دخلت عبر بوابة صخرية ضخمة تتوسط الهرم إلى الداخل، يعلمون جيدًا لمن هذه العربة، ولكن يتعجبون من وجودها فهي إن ظهرت يعني إن هناك أمرٌ ما يحدث، لماذا أتت «تي»؟!

•

تعالى صوت المتحدثين داخل غرفة الحكماء المخصصة لاجتماعات الكهنة المرتلين الطارئة، اقترح البعض منهم الحديث مع «بحتي» الذي انقلب عليهم عل الحديث يُعيد ما قُطع لتنهمر عليهم عبارات الرفض، فكيف يجلسون مع من يرى في البشر عبيدًا للكهنة ويريد أن يجعل الجميع تحت سطوة روح الشر التي كانت سببًا في ضياع العالم وانهياره قبل آلاف السنين؟

انقلب «بحتي» عليهم بسبب الشر الأعظم؛ رغم براعته في السحر واجتيازه اختبارات المرتلين إلا أن الظلام سيطر على روحه وقاده إلى الضلال، شاهدوه وهو يؤدي الكلمات المحرمة وتعاويذ الظلام في غسق الليل وحتى بدأت شمس الحياة رحلتها، واجهوه بما فعل فأنكر؛ ثم استهتر وعاند ورفض أن يعود من طريقه بل وتمادى وسب الكهنة والملك المعظم حتى إنه وعدهم بالعذاب إن لم ينضموا له.

لم يجدوا بدًا من أن يحكموا عليه بالنفي بعد أخذ مشورة «تي»، عليه الرحيل وترك مجرى النيل المقدس بلا عودة؛ يذهب شمالًا أو جنوبًا لا يهم، ولكن فليذهب بظلامه هذا إلى أرض أخرى. تلوا عليه قرارهم لكنه ماطل وطلب مهلةً لأيام، فظنوا أنه تراجع عن فكره ليكون الواقع أشد مرارًا من صبار الصحراء، استكمل أفعاله واستقطب العامة البسطاء وأوهمهم بالخلود والحياة ما بعد الموت إن انضموا له ليرضخ بعضهم وينفذ ما أمر به «بحتي» ليُضحوا بأرواحهم مقابل إحياء روح الشر ولكن الحصيلة هي هلاكهم ملعونين في الحياة وما بعدها.

قطعت عليهم «تي» حديثهم المتصاعد قبل أن يأخذ منحنى آخر من الهمجية التي لا تليق بأقوى سحرة مصر، صمت الجميع بدخولها؛ بعينيها الواسعتين المكحلتين وثوبها الأبيض المُحلى بالذهب من الأعلى وأسفله مفتوح يكشف عن ساقيها إن خطت على الأرض أو جلست، ويزيدها جمالًا تلك القلادة الضخمة على صدرها وبها شعار أفعى تلتف حول نفسها.

رفعت يدها اليمنى المزينة بأساورٍ ذهبية تبدو كدرعٍ يحمي يدها حتى كتفها العاري بحسمٍ رغم وجود كبير الكهنة فصمتوا؛ لتجلس على كرسي من الخوص

القوي بظهر مقوس أسود اللون، وأمامها المنضدة المصنوعة من الرخام الأسود ومزينة بخطوط ذهبية ونقوشٍ للحماية، ويجتمع حولها الكهنة.

لم يصمتوا لجمالها فقط وإن كان بأسرهم بشعرها الأسود الطويل؛ بل لأنهم يعرفون جيدًا من هي وما تقدر على فعله، أقواهم «تي» في السحر لأن من علمها هو الكاهن الأكبر، كما أن دخولها الجبل المحرم كفيلًا بجعل كفتها راجحة في مواجهتهم، يقول البعض إنها تستطيع فعل أي شيء بسحرها ويبدو بثقتها وشموخها أنها بالفعل قادرة على ذلك.

على الرغم من جمالها تكلمت بصوتٍ جهور جعل بعضهم يتراجع ويلصق ظهره في مقعده:

- علمت أن «بحتي» فعلها ثانية!

تقدم أحد الكهنة برأسه وكاد أن يتحدث لكن «تي» قاطعته بإشارةٍ ثانية من يدها التي تحمل فيها خاتمًا ذهبيًا به قطعة ما تبدو كصخرةٍ صغيرة زرقاء اللون، لتضيف:

- أمامه وقت قليل للغاية فقط وسينجح ولا نريد المجازفة، افعلوها الآن وتخلصوا من لعنته قبل أن ينقلب صمتكم عليكم، الصمت على الشر يدفعه للمزيد وكأنه حق مكتسب، لولا أني لم

أتلقَ أمرًا بالتدخل لوضعت له حدًا بنفسي ما دمتم خائفين.

ثم نظرت لهم جميعًا ونهضت؛ ثم حركت رداءها الطويل ليلتف حولها وكأنها أفعى وتتركهم وتخرج وهي تفتح باب الغرفة بإشارة من يدها وسط نظراتهم المتبادلة.

•

تراقص الطاووس وهو يقف أمام نافورة من المياه تتوسط حديقة مليئة بأشجار الفاكهة الضخمة والعبيد؛ لينفش جسده تفاخرًا، إلا أن سعادته لم تدم وهو يرى تي صاحبة هذه الفخامة وهي تهبط من عربتها الذهبية وتبدو على وجهها أمارات الغضب، اتجهت مباشرة إلى مخدعها في قصرها المواجه للهرم وهي تتلو بعض الكلمات في الطريق حتى صعودها لمنع دخول أي كيانات أو مخلوقات غير مرئية إلى المكان.

دخلت إلى البهو الضخم الذي يقودها إلى غرفتها في الجهة اليمنى منه؛ ليقابلها نقش الأفعى المرسوم على بابها لتشير إليه بإصبعها ويُفتح لتدخل ويُغلق خلفها مباشرة دون أن تمسه، لتصبح في غرفتها الضخمة التي تضم أكثر من خمسة أعمدة رخامية منقوشًا عليها كلمات الحماية وبعض النصائح التي

تركتها لمن يخلفها، وسريرها الخشبي الذي يحتضنه حرير أبيض يسقط من الأعلى من أطر ذهبية وأمامه أريكة من الخشب ناصع البياض وأعلاه ريش ناعم يغلفه غشاء رقيق من الحرير..

استلقت على الأريكة وهي تفكر في بحتي الذي دخل قبل أعوام إلى معبد الكهنة المرتلين، ونجح في اجتياز جميع الاختبارات والعقبات التي واجهته، كان لديه من الذكاء والصبر والحكمة وقوة التحمل ما يجعله يمر من كل شيء بسلاسة وكأنه مصنوع من المطاط القابل للتشكل في أي ظرف.

نجح في كل شيء إلا التخلص من نفسه المتعالية، وعلى الرغم من أنها كارثة قد تقود صاحبها إلى الدمار إلا أن كبير الكهنة المرتلين تدخل شخصيًا وعفى عنه وتغاضى عن اختبار السمو بالنفس وهو الأهم لخلق روح إنسانية قادرة على العطاء وتقديم المساعدة وحماية من يستحق، استطاع بحتي أن يجتاز اختبارات الغيب الزمني والمكاني ويندمج مع روحه الثانية الكا، بل وسخرها لخدمته وهو ما أعطاه قوة إضافية؛ بل إنه واجه أوهام بركة المياه العميقة وكهوف النار ونجح في تسخير بعض المخلوقات المفترسة لخدمته عبر قدرات ذهنية يصعب الوصول

لها وإتقانها، منذ أن تغير وهي تسأل نفسها؛ لماذا اختار أن يطيح بهذا المستقبل والنجاح ويقود روحه إلى الظلام ويصمم على نبش الماضي واستعادة روح الشر..؟ تعلم الإجابة ولكنها تخاف أن ترد بها على نفسها، هل الجبل الأسود السبب؟!

•

جثم الظلام على المنطقة قرب الهضبة الصخرية العالية التي تبعد غربًا عدة كيلومترات عن الهرم الأبيض، ليرفض القمر في هذه الليلة أن يعكس أي ضوء ولو ضئيل لتبيان ملامح ما يحدث وكشف بعض التفاصيل، ولكن ببعض التركيز تظهر بعض الظلال التي تتحرك دون صوت، ثلاثة رجال وثلاث نساء يسيرون في دائرة وكأنهم قطعة من الظلام الذي يغلف المكان، دائرتهم التي يجسدونها كأنها مرسومة بعناية بالغة، أما وجهتهم؛ فهي الكهف المحفور بالهضبة، لا يتكلمون أو ينظرون حولهم أو حتى إلى بعضهم البعض بل يتحركون بآلية وكأنهم مُسيرون رغم الظلام، كيف يرون؟ لا يبدو أنهم يرون بل يسيرون فقط وكأنهم مسلوبو الإرادة، دقائق ووصلوا أمام الكهف!

الصمت التام هو سيد المكان بلا منازع ولكن الأجواء مقبضة لمن يقترب؛ وكأنهم يسحبون الطاقة

الإيجابية المحيطة ويبعثرون أشلاءها بعيدًا، لديهم مهمة واحدة يعلمونها جيدًا ولكن لن ينفذوها إلا داخل الكهف بأمر من بحتي.

على الرغم من وقوفهم أكثر من ساعة بنفس الترتيب أمام الكهف والبرودة تقشعر أبدانهم رجالًا ونساءً؛ إلا أن ملامحهم لا تعكس أي ألم أو رفض للموقف، من داخلهم يعلمون إنهم في طور التحول الأخير بعد أن شربوا من يد بحتي إكسير الحياة يوم اكتمال القمر الفائت، هذه المرة سيخرجون من الكهف بعد التضحية الأخيرة وقد أصبحوا بشرًا آخرين يحملون من القوة والجبروت ما يجعلهم قادة جيش الظلام القادم.

بعض التساؤلات كانت تدور في أذهان بعضهم، لماذا اختارهم بحتي تحديدًا؟ هم لا يعلمون ولكن هيبة الكاهن المرتل التائب -كما طلب منهم أن يسموه- تجعلهم لا يقدرون على توجيه مثل هذا السؤال، وكأنك تسأل القدر لماذا اخترتني أنا للنجاح أو الفشل؟!

قاطع أفكارهم ظلٌ ضخمٌ خرج من الكهف وأشار لهم بالدخول، الظل لا يعكس شخصًا أو كيانًا ماديًا، بل ظل فقط!

ولكن على الرغم من غرابة الموقف إلا أنهم فهموا واتجهوا إلى الداخل وهم يعلمون إنهم سيقضون أرواحهم قربانًا للظلام مقابل الحصول على القوة التي لم يروا مثلها، تحركوا دون كلام بنفس الترتيب المستفز وكأنه أقسم ألا يتزحزح أحد منهم خطوة واحدة خاطئة حتى دخلوا إلى قاعة ضخمة بها إضاءة قوية بسبب كتل الكتان المغموس في الزيت الموضوعة داخل حفر في الأرض ومغروسة بين صخور الحوائط، أمامهم يقف بحتي بجزعه العاري وصلعته المميزة ونظرته المخيفة، له فك ضخم وكأن أحدًا ما أعطى له لكمة منذ صغره شوهت وجهه، وعينان جاحظتان ولحية سوداء قصيرة غريبة، فهم لم يروا من قبل أحدًا يطلق هذا الشعر في وجهه ولكن بالتأكيد هي أوامر سيد الأرض القادم.

أشار لهم بيده اليمنى إلى رسمة غريبة على الأرض لها خمسة أضلاع كي يجلسوا حولها فنفذوا سريعًا وبآلية دون تعليق أو قول، ولكن دار في ذهنهم سؤال واحد، عددهم ستة؛ فأين سيجلس السادس!

بالفعل لم يجد السادس مكانًا للجلوس، تأخر أو ربما كان فهمه بطيئًا عكس الآخرين الذين فهموا ما سيحدث؛ ليشير بحتي بيديه وكأنه يطير شيئًا ما بها

لتنفصل رأس السادس وسط نظرات مذهولة صامتة من الآخرين لتجد مكانهًا وسط النجمة ويسقط جسده مثل البالون المثقوب أرضًا ويسير دمه المنثال داخل ما يبدو إنه إطار محفور على الأرض ليرسم وجهًا مخيفًا، وجه كبشٍ بقرون ملتفة!

لم تمر ثوانٍ حتى بدأ «بحتي» تلاوةَ ترانيم مخيفة وهو يُحرك يديه كأنه يرقص بهما ويقود أوركسترا الموت؛ ليبدأ الموجودون في الدائرة بمسك أيدي بعضهم البعض وهم يحركون رؤوسهم رغمًا عنهم؛ ثم تعالى صوت أنينٍ في المكان وانتفض الجالسون جميعًا وسقطت رؤوسهم عن صدروهم؛ ثم فجأة انثالت الدماء من رقبتهم وبدأت تنزلق راحلةً عن أجسادهم اللاتي تساقطت بهدوء بعد أن فقدت الحياة..

على الحائط بدأت تتشكل هيئةً مخيفة لكيان حالك السواد غير محدد الملامح بل يتشكل في كل ثانيةٍ بشكل غير الآخر، تقيده رموز وأشكال مرسومة على الجدار ليزوم بعنف ويقترب منه «بحتي» الذي تجاهل الموتى وما حدث ويسأله:

- قلت إنك تعلم مكان دفن سيد الظلام، حدثني عنه.

- اسمه الجيساس.
- أين هو؟

تعالى صوت صرير قوي في المكان وزمجرة لا تتوقف ليحرك «بحتي» يديه بعنف وكأنه يضرب الهواء بسوطٍ خفي لتتعالى قرقعة في المكان وأنين يتصاعد ثم أجاب الكيان على الحائط:

- جبل الظلام.
- لا يوجد إلا جبل ظلام واحد ويطلق عليه البعض الجبل المحرم ودخلته من قبل، هل تقصده؟
- نعم.
- أين تحديدًا؟
- في باطن الأرض؟

بهت «بحتي» بعد الإجابة وكأنه يفكر في شيءٍ ما أو يستعيد ذكرى محددة، ليضيف متوعدًا بصوت قاسٍ:

- لو كذبت سأعود إليك ولو كنت صادقًا ستكون معي تابعًا، أعلم أنك تدين له بالولاء ولهذا لن أقتلك الآن.

لم يرد كيان الظلام ليخرج «بحتي» من المكان وقد علم وجهته.

وجدت «تي» نفسها فجأة أمام جبل الظلام، الشمس حمراء قانية أعلاها وكأنها تكاد تنفجر من دماءٍ داخلها، وحولها غيوم سوداء تتكاثف بشكلٍ غير طبيعي مع برق أسود يضرب الجبل وصوت صراخ البشر حولها يصم الآذان.

تلفتت حولها وهي تعلم أنها في رؤية جديدة تعودت عليها منذ أن دخلت هذا الجبل قبل سنوات لتجد الأرض تتشقق من أسفلها وتلفظ ثعابين صغيرة وعقارب تجري في المكان حولها فرفعت جسدها إلى الأعلى لتراقب ما يحدث!

تجمعت الثعابين والعقارب أمام مدخل الجبل الصخري ثم اختفت فجأة!

علمت أن في هذا المكان يرقد الشر الأعظم الذي يسعى «بحتي» لاستدعائه، طالما عرفت المكان فهو علم أيضًا؛ فهو شقيقها أيضًا وبينهما رابطة رغم كل ما حدث!

الاخوة

لم يستغرق بحتي وقتًا بل ذهب مباشرة إلى جبل الظلام، فهو يعلم أنه سيعرف إن كان الجيساس في هذا المكان أم لا، فلديه قوى غير معلومة تجعله يشعر به.

ترك حصانه البني الذي يعتليه؛ ثم هبط إلى الأرض واتجه صوب الجبل ليتفحص ما حوله، بالفعل يشعر أن هناك نداء ما بداخله يقوده إلى الإجابة والسر!

لسنوات ينتظر اليقين حتى جاء، ولن يتنازل عنه إلى حين خروج سيده، وقف أمام الجبل مباشرة واستنشق الهواء المكتوم حوله؛ يستعد لما هو قادم، يشعر بوجود حفرة ضخمة أسفله، ليست مثل الحفرة داخل الجبل التي يتذكرها جيدًا عندما دخل أول مرة هذا المكان.

تحسس الأرض الرملية الممزوجة بالصخور، يشعر بالفعل بالطاقة تنبض من أسفل الأرض وكأنها تناديه لتحريرها.

الأمر يحتاج إلى تضحية كبيرة، أكبر مما يتخيل فهناك أصفاد يشعر بها مليئة بطاقة غامضة، أصفاد

بحاجة إلى أرواح المئات!

وقف هو يفكر في كيفية تحرير الجيساس، كيف سيقنع هذه المرة المئات بتقديم أرواحهم طواعية للقادم من جبل الظلام؟!

كاد أن يركب حصانه، لكنه توقف بعد أن قاطعه صوتٌ عن يمينه يقول:

- يبدو إنك مصمم على الموت يا بحتي.

لم ينظر واكتفى بالرد:

- لا أريد أن يكون موتي على يديك يا شقيقتي العزيزة، دعي الأمر للآخرين.

اقتربت منه ليستدير لها وهي تقول ببطء: أنت تعلم إنهم لا يقدرون عليك.

رد ساخرًا: وهل تقدرين أنت؟

مطت جسدها، ثم خلعت حزامًا ذهبيًا ضخمًا كان على وسطها لتقول: نعم وأنت تعلم ذلك.

زاد في سخريته وقال: يبدو إنها ستكون معركةً جيدة، منذ فترة لم أخض مثلها.

سألته وهي تتوقف بالقرب منه، لكنها تحافظ على مسافة آمنة بينهما:

- لماذا تركت نفسك لقوى الظلام يا بحتي؟

- لم أفعل وأنت تعرفيني ذلك، منذ أن دخلنا الجبل سويًا ولم يعد الأمر كما كان.
- حاولت إنقاذك.
- ولكنك لم تفعلي، صرخت وأنا في الحفرة الضخمة ولكنك لم تساعديني.
- حاولت، وجُرحت رأسي وفقدت الوعي؛ ثم استيقظت بعدها وركضت وأتيت بالأهل لإخراجك.
- تركتيني ليومين وحدي في جبل الظلام.
- لإنقاذك.

انفعل عليها ليقول:

- كاذبة، لا يضير الأمر في شيء، فها أنا حصلت على قوتي وأنت أصبحت المقربة من الكهنة وأقواهم.

رفعت يداها وهي تتمتم؛ ولكن قاطعتها يدٌ خرجت من الرمال وأمسكت قدميها لتسقط أرضًا وسط ضحكات ساخرة من شقيقها.

- هل تحاولين خداعي؟ تريدين إلقاء تعويذة التكبيل؟ ها قد انقلبت عليكي يا صغيرة.

ردت تي بغضب: لا تقل صغيرة! أنا الشقيقة الكبرى لك..

ثم وجهت يديها إلى بحتي ليجد شيئًا غامضًا يركله إلى الخلف بقوة ليسقط على الرمال.

نهض وهو يركل الرمال لتتحول إلى قبضة تحاول الإمساك بتي التي تفادتها بقفزة إلى الأعلى وكأنها تطير برشاقة ورداؤها الأبيض يصدر صوتًا وهو يقابل الريح الساخنة التي هبت فجأة؛ ثم أطلقت يديها لتخرج منهما طاقة صافية غير واضحة ولكنها فتت الرمال، لتهبط على قدميها وتحني ركبتيها؛ ثم تدفع يديها إلى الأمام موجهة إياها لشقيقها وتُخرج منهما كرة نار حمراء تفاداها بحتي بالقفز جانبًا؛ ثم دار حول نفسه في الهواء صانعًا دوامة من الهواء المندفع نحوها لتغوص فيها ولكنها لم تستمر لثوانٍ حتى دمرت الدوامة بدوامة عكسية تصاعدت حولها أسقطتها أرضًا.

كانت هذه غلطة تي التي ندمت عليها حيث كبلتها قبضة رمال بعد سقوطها من يديها وأقدامها؛ ثم اندفعت دوامة من الهواء حاملة الرمال البيضاء لتثبت جسمها على الأرض وتضرب الرمال جسدها بعنف حتى توقفت بأمر من بحتي الذي نظر لها بشفقة وقال: لماذا لم تواجهيني بقوتك الحقيقية، ما زلت تخافين علي يا شقيقتي؟!

لم تستطع تي الرد بسبب الإنهاك والتعب ومرارة الموقف ولكنها حاولت التملص باستدعاء نسرها الذي ما إن اقترب حتى أصابته صاعقة أحرقته في وقتها وسط نظراتها التي زادت ألمها.

يبدو إن الغضب يُخرج القوة الحقيقية، حيث انتفض جسدها وبدأت عيناها في التحول إلى اللون الأزرق الصافي؛ لتنهض وهي تستعد لاستكمال المعركة مع شقيقها، بحثت عنه لتجده اختفى بحصانه!

تعلم إنه سيعود إلى نفس المكان، ولكن عندما يفعل؛ لن تكون هي التي تواجهه لأنها سئمت من ضعفها أمامه، ستجعل الكهنة ينتظرونه؛ فهذه المرة لا يوجد وقت والخطأ يعني دمار الأرض التي تعرفها.

العودة

شهد الاجتماع الأخير للكهنة المرتلين قبل مواجهة بحتي غضبًا ليس بعده غضب، لا مجال للخطأ هذه المرة، نجاح هذا المتمرد يعني أرضًا مختلفة عن التي يعيشون عليها، كوكب يسيطر عليه الشر والظلام، تفرقوا وذهبوا إلى جبل الظلام بقوتهم الكاملة استعدادًا لحرب جديدة تشهدها الأرض ولكن هذه المرة نتيجتها ستغير وجه البسيطة.

المشاعل تتوزع في المكان لتعطي إضاءة واضحة، وسط خيام منصوبة ونيران مقدسة من زيت الكتان والتعاويذ الحامية، ينتظرون بحتي القادم لتحرير الشر ولكنهم يعلنون عن وجودهم بالأضواء حول الجبل عسى أن يكون الوضوح رادعًا له ومن معه.

فجأة في المساء تغير كل شيء، وكأنه يتحداهم جميعًا، هجم عليهم بكائنات يسطير عليها، شتت شملهم في البداية بالضباع والأسود، وحين بدأوا الرد والدفاع هاجمهم ثانية ببعض العامة الذين علمهم سحر الظلام.

اندلعت الحرب بسرعة، تعاويذ من أفواه السحرة وكرات نار ونور وطاقة زرقاء تُقذف من كل حدب

وصوب، وسط صراخ يتعالى يشق عنان السماء، وأرض تنشق وتُخرج ما في جوفها من صخور لتضرب الصدور والرؤوس، وأيادٍ رملية تخرج من أسفلهم تسحب بعضهم وتدك أجسادهم.

استبسل بعض الكهنة في الدفاع وأسقط الكثير من العامة والحيوانات؛ ولكن بنزول بحتي إلى المعركة بنفسه حسم الموقف، أنهكهم ثم أزهق أرواحهم.

ثلاث ساعات هي عمر المعركة، والحصيلة صادمة، دماء تشربتها رمال الصحراء العطشى لأي سائل ولو محرمًا، ورؤوس جاحظة عيناها لا تستوعب رحيلها عن الجسد والروح تتناثر، رغم المشهد الدامي؛ إلا أن ابتسامة بحتي علت محياه وهو يشاهد انتصاره الأهم.

كان بعض الكهنة مصابين؛ فأسرهم بحتي بأصفاد تعلمها، وهي مزيج من النار والنور وهي الأصفاد الوحيدة التي لا يقدر ساحر أو كيان على فكها والتخلص منها، تسحب قواهم تمامًا وتضعفهم، وهو العلم الأهم الذي لم يجد أحد يعرفه سواه وشقيقته تي ولا يدري السبب، لكن ربما دخولهما الجبل سابقًا سببًا في هذه المعرفة!

الدخان الرمادي يتصاعد إلى الأعلى راسمًا أجنحة الموت على المكان، ورائحة اللحم المحترق تزكم

الأنوف وتحرق العيون، وتبقت فقط خطوة واحدة ينفذها بحتي لتحرير سيده.

نظر إلى الضباع؛ فتحركت سريعًا إلى وجهتها، يريد المئات من المصريين لإتمام التضحية، ليأمر هذه الحيوانات بخطفهم أحياءً وجرهم إلى هنا، كما أمر أتباعه بالأمر نفسه.

تبقى القليل على شروق الشمس وهو موعد وصولهم لبدء التضحية الكبرى.

ساعات ووصل الجمع مقيدًا بسلاسل أو أجسادٍ داميةٍ مجرورة بأفواه ضباع ضخمة، أمر بإيقافهم مقابل الجبل استعدادًا للتضحية الأهم في تاريخ الأرض.

نشوة الانتصار تعمي عينيه وتجعل قلبه ينتفض، حتى أن عرقه بدأ يسيل على بشرته السمراء وجزعه العاري الموشوم بأشكال حيوانات وطلاسم مخيفة على جلده الذي أحرقته أشعة الشمس على مر السنين.

مقابل الجبل كان الوضع مأساويًا، أكثر من مئتي رجل وامرأة لا يعرفون لماذا أتوا أو ما سيحدث لهم، لا يعلمون أنهم سيدخلون تاريخ الأرض وسيكونون أضحية لخروج الجيساس وهو شرف بالنسبة إلى بحتي لو يعلمون عظيم.

المشهد بعد ذلك غير قابل للوصف، لكن يكفي للمعرفة إن مئات الجثث كانت تتراص على الأرض الرملية منحورة العنق، ولم يهتم بحتي بها بل حمل عقله فقط التعجب والعجب من شيءٍ آخر! لماذا لم تحضر تي؟ هل استسلمت أم أنها في مكان آخر؟!

قاطعت تفكيره رجة في الأرض وتشقق كاد أن يضرب الجبل نفسه، هل ينهار عليه ويكون مصيره الموت قبل حياة السيطرة؟!

بدأ أتباعه في التراجع، أما هو فبدأ في الاقتراب من الحفرة التي بدأت تتشكل مقابل الجبل لتبتلع جميع الجثث المنحورة. يثق في أنه سيعيش ويريد أن يكون أول من يرحب بقدوم سيده.

دوى صوت هديرٍ ضخمٍ من أسفله واستمرت الأرض في الاهتزاز وكأنها ترحب معه بسيده، لترتفع الأتربة فجأة وتنهمر إلى الأسفل لتعمي بصر الموجودين وكأن بركانًا سيخرج من باطن الأرض، هنا شاهده!

ينبت وكأنه زرع شيطاني من الحفرة، يخرج بقبضته المضمومة أولًا؛ ثم ذراعه؛ فكتفه، وبعدها رأس مخيفة تنبت لها قرونًا سوداء ملتفة، وجه غاضب عليه غضب الخالق، وجسد ضخم يبتلع ما حوله، مشعر،

بسلسلة ضخمة تقيده تهاوت بعد أن خرج كاملًا واقفًا على قدميه، لم تستوعبه الحفرة الضخمة؛ فظهرت رأسه أمام الجمع المذعور.

لم يدر بحتي بنفسه إلا وهو يخر على الأرض راكعًا، وكأنه يعطي إشارة إلى أتباعه الذين فعلوا مثله، لينظر لهم القادم من جبل الظلام وكأن وجهه البشع يرسم ابتسامة بشرى بالموت والضلال:

أتباعي في الأرض الحبيبة، منكم وإليكم أعود، قبلت تضحيتكم وبكم أسود، اركعوا لي ثانية فقد اشتقت لحكمكم وأعلنوا لي الولاء، فأنتم آمنون.

فعلها بحتي ثانيةً ومن معه ليسأله الجيساس بصوت هادر غاضب متعجب: ما جنسكم أيها الضعفاء؟

تعجب بحتي:

- ماذا تعني سيدي؟!
- هل أنتم من تسودون الأرض أم أن هناك من هو أقوى منكم؟

رد بحتي بفخر:

- نحن سيدي، البشر.

تعجب الجيساس:

- بشرا! الكلمة لا تدل على قوة بل ضعف وخنوع، ألهذا كنت أطهرها؟!

لم يرد بحتي، فهو لا يفهم أي شيء، ليزيد الجيساس:

- وهل هؤلاء هم البشر فقط؟ أين بقيتهم؟

رد بحتي بسرعة، وهو يرفع رأسه إليه: سيأتون ويعلنون الولاء لسيد الأرض ولكن ليس الآن.

حدجه الجيساس بنظرة غاضبة وقال: لماذا ليس الآن؟

- لا يعلمون بحضورك بعد سيدي.

ضحك الجيساس بصوت عالٍ تردد في أصداء المكان وهو يقول: سيعلمون، ثلاثة أيام فقط وسيأتون راكعين مثلكم.

لا يدري بحتي لماذا سرت في جسده رجفة مخيفة من نبرة الجيساس وتوعده، لكنه من داخله يعلم إن الأيام المقبلة ستكون سوداء على هذه الأرض.

اليوم الأول

استيقظ المصريون على أصوات انهمار المطر بشكل سريع وقوي؛ ليخرجوا من منازلهم ويصعقوا بالمشهد، السماء لا تُمطر ماءً بل ثعابين!

اختبأت النساء والأطفال في البيوت الحجرية وأمسك الرجال بفؤوسٍ من الحجر الحاد ليمنع وصول الثعابين الزاحفة إلى المنازل، لا يعلمون ماذا يحدث لكن دوّى صوت هادر لرجل يدعو إلى الهروب والذهاب للجبل المحرم للحماية من هذا الهجوم، خرج البعض ليروا من هذا الرجل، هيئته مخيفة ويرتدي زيًّا أسودًا بالكامل، وفي يده عصا من الأبنوس ضخمة سوداء أعلاها رأس كبش.

كاد البعض أن يتحرك للذهاب إلى المعبد واللجوء إلى الكهنة، ولكن التفّت حولهم الثعابين وأصابتهم بلدغاتها المميتة، الاتجاه الآمن فقط هو تجاه هذا الرجل الغريب!

تحرك –بالفعل- البعض إلى الرجل الذي ابتسم بثقة وهم يقتربون منه، وفجأة انهمرت سيول من النار

تحرق الثعابين بعد أن توقف نزولها من السماء لتحترق في الأرض وتتلوى وتتصاعد رائحةٌ بشعة من المكان..

عاد من خرج إلى داخل البيوت ذات الطابق الواحد المبنية بلونٍ أبيضٍ موحد بزخرفة ذهبية وفضية حسب مقدرة كل صاحب منزل، وقد أيقنوا إن الأمور تتغير إلى صالحهم لتظهر تي في المكان فجأة، وتلقي تعويذة على الرجل الذي رفع عصاه ليمنع تأثير تي عليه، وبالفعل لم يصبه أذى، ولكنه ضحك ساخرًا واختفى من المكان فجأة وكأنه لم يكن وهو يتوعد بالمزيد!

انتهى الوضع في أقل من ساعة، بدأ بدون سبب وانتهى دون سبب، ولكن تي كانت تعلم إنها البداية بالفعل، يريد إخافة البشر ودفعهم إلى الذهاب للجبل المحرم وطلب الحماية من الجيساس، لقد عاد وينتظر أن يحكم الأرض والبداية من هذا البلد.

•

اليوم الثاني

كانت الطفلة «خنت» تلعب خارج المنزل؛ لتجد ضفدعًا صغيرًا يمرح ويقفز في المكان، فاقتربت منه بدافع الفضول، ترى لأول مرة ضفدعًا في هذا المكان، ولكن صراخ والدتها جعلها تتوقف، نظرت خلفها لتجد أمها تجري نحوها بسرعة ويتصاعد الصراخ من المكان، ترى شيئًا مظلمًا يهبط من الجبل تجاه المنازل، توقفت مذهولة لثوان حتى حملتها أمها بسرعة ودخلت بها إلى المنزل، دقائق واقترب الظلام الذي يقفز على الأرض، ملايين الضفادع تكسو الرمال وتقفز فرحة، من أين أتت؟! لا يعلم أحد ولكن يبدو إنها البداية كما قال الغريب أمس!

مكث الأهالي في المنازل طوال اليوم، كلما حاول بعضهم الخروج وجد الضفادع تحاول احتلال بيته، هم لن يجازفوا بهذا خاصةً أن أعينها حمراء!

الخوف بدأ يستعر في قلوب الأهالي، والسؤال بدأ يتردد على الألسنة، أين الكهنة من كل ذلك؟!

فكر البعض في اللجوء إلى الجبل المحرم، كما قال الغريب ولكن لعنة الضفادع أهون بالنسبة لهم لمستقبلٍ

غامضٍ لا ضياء فيه!

لم ينم أحد من الأهالي خوفًا مما يحدث، ولكن في الصباح اختفت الضفادع تمامًا وكأنها كانت سرابًا في العقول، ولكن لم يعلموا إن الوضع لم ينته بعد!

اليوم الثالث

مع صعود الشمس في رحلتها لتتوسط السماء وتبعث بأشعتها الحارقة على الوجوه والأجساد لم يحدث أي شيء غريب ليظن الأهالي إن الأمر انتهى، لكن صوت الخُشارم القادمة من الجبل أعاد لهم المخاوف، يعلمون أن الضباع تأتي إلى بلادهم ومن آخر مرة خطفوا فيها بعض الأهالي، وهم يكنون خوفًا بالغًا من هذه الكائنات، في الماضي كانوا يأتون من آن إلى آخر وتكفي صخرة واحدة تُلقى عليهم ليهرولوا بعيدًا يجرون أذيال الخيبة، ولكن الآن صوتهم وحده كفيلٌ ببث رعب لا ينقطع في أوصالهم.

لم ينتبهوا إلى الكارثة إلا بعد صراخ «تاح» القادم من أطراف المدينة، الفقير الذي يعيش بلا مأوى من بعد الفيضان الأخير، ولكنه بنى مؤخرًا بيتًا من الطين جعله يعيش منبوذًا وسطهم، صراخه وكأنه يُسلخ حيًا ما دفع بعض الرجال للتسلح بالفؤوس ورماح الصيد والذهاب لإلقاء نظرة والخوف يقفز من أعينهم ويسبق خطواتهم المترددة، وجدوا ضباعًا بأعين حمراء مخيفة تلتف حول تاح وتلتهمه حيًا، يصرخ وينتفض فتنهشه

الحيوانات الضارية بلا رحمة حتى خمد جسده وذهبت روحه إلى الحساب!

هنا لم يعد هناك مجالًا للتعقل، عزم الكثير من الأهالي على الذهاب إلى الجبل المحرم، أمان العيش أهم من الحرية بالنسبة لهم، فكر أحدهم في المجازفة والمرور من أمام الذئاب تجاه الجبل المحرم، وبالفعل لم تهتم له الحيوانات بل كانت تنظر له وكأنه في أمان!

حزم الغالبية أمرهم وخرجوا من المنازل، الرجال يمسكون أيادي الصغار وفي الخلف النساء في صفٍ طويلٍ ضم الآلاف وكأنهم أسرى مكسورون ينظرون إلى الأرض ويفكرون في مستقبلٍ ضبابي منذ أن بدأت اللعنات تنهال عليهم، حاول أحدهم أن يصرخ فيهم ويدفعهم للعدول عما يفعلون ولكن كانت نهايته مروعة ليس من الضباع؛ بل من أحد الأهالي الذي قذفه بالفأس وشج رأسه وهو يلعنه..

الخوف دومًا هو رهان السلطة، ولهذا يبعثونه في الأرواح، وحين تنتفض روح شجاعة يلعنها الآخرون دفاعًا عن الباطل طالما سيظل حيًا ويضمن معيشته، المعادلة يعلمها جيدًا الجيساس، ولعب عليها بحتي ببراعة جعلت الأهالي يسقطون في فخه.

تحركت البلدة بأكملها تجاه جبل الظلام وفي رؤوسهم تدور الأسئلة «أين ذهبت تي التي حمتهم سابقًا وكانوا يراهنون عليها؟! لا يعلمون! وبعد أن ظهرت في اليوم الأول وأنقذتهم من الثعابين، تركتهم لمصيرهم المظلم، لم يجدوا الأمان؛ فلجأوا إلى الشر للحماية، يعلمون من داخلهم أنهم على خطأ ولكن ليس أمامهم خيار آخر.

قدس الأقداس

كانت مهمة تي صعبة بالفعل، لم يرد كبير الكهنة المرتلين التضحية بها في معركة يعلم نهايتها وأنها محسومة بالخسارة، ورأى أن لها دورًا هو الأهم لاقتناص النصر من أفواه الشر.

استقرت داخل قدس الأقداس الذي بناه الكهنة المرتلين في سنوات بعمليات حسابية معقدة للغاية تجعل له قوى غير معلومة إلا لهم؛ حتى أصبح منارة للعلم والمعرفة والأمن والأمان وملاذ الضعفاء في العالم أجمع.

يضم العلم والمعرفة والفن والفلك وكل ما يهيئ الأرض لعصرٍ جديد مختلف، لكن لا أحد يعلم سره الآخر، لا أحد يدري السلاح الخفي الذي داخله وتتمنى أن لا يتم إطلاقه يومًا ما!

مكثت داخل الهرم الأبيض مع كبير الكهنة لبحث الوضع ومتابعة المستجدات.. بحسب ما يصل لهم أولًا بأول من جواسيسهم نجح الجيساس في استقطاب آلاف المصريين وجعلهم تابعين له رغم مرور شهر واحد فقط على خروجه.

الوضع أصبح خطرًا من جميع الأبعاد، لم يفض النهر المقدس كما العادة في هذا التوقيت من السنة وبدأت المحاصيل في الموت والذبول واكتست خضرتها بالصفار، وماتت العديد من المخلوقات، وباقي الدول المجاورة سمعت بالأنباء فاستعدت بجيوش على أمل الدخول إلى بلادها واحتلالها وهو حلم لم يجدوا له سبيلًا للتحقيق، ولكن الوضع الغريب الذي تمر به مصر جعل الأمل ينبت داخلهم مرة ثانية.

عمليًا تعلم تي إنها خاسرة لو دخلت في مواجهة مع الجيساس وشقيقها، تعلم أيضًا أنها الخط الدفاعي الأخير للأرض في مواجهة هذه القوى مما يعني أن أي عملية غير محسوبة لن تدفع ثمنها روحها فقط بل الأرض كلها. فالجيساس كما كل ذي سلطة كلما اقتنص قطعة من الحكم زاغت عيناها على التي تليها، سيحول الأرض إلى مملكته ولكن بعد أن يُسقط قدس الأقداس.

تعلم أنه سيهاجمه عاجلًا أو آجلًا طالما معه بحتي، رغم أنه لن يستطيع الدخول واقتحامه بسبب تعاويذ الحماية المرسومة عليه وتمنع دخول أي شر أو تأثيره بأي علوم سحرية.

طلبت من الكاهن أن يوافق على تجهيز السلاح السري؛ فرفض في البداية تخوفًا مما سيفضي إليه

الأمر؛ ثم سرعان ما تحول الرفض إلى موافقة في اليوم التالي بعدما علم أن الجيساس سيهاجمهم بحسب ما كشفت جواسيسهم..

الكاهن الأكبر يعلم أن الشيطان القادم من جبل الظلام يريد أن يحيل الأرض جحيمًا بمن عليها وهو لن يسمح بذلك، ليأمر بالفعل العمال الأشداء أن يجهزوا السلاح بسرعة، وعلى الرغم من الدقة والإنجاز المعروف بها عمال قدس الأقداس إلا أن تجهيزه استغرق أيامًا بسبب ضخامة الهرم.

الزائر

حاول الفأر الجبلي الضخم أن يقترب من الأقدام الضخمة أمامه، يريد أن يتذوق جزءًا منها، لا يعلم أن باقترابه منها ستكون نهايته ولكنه فعل، دهسه الجيساس ببساطة وهو يقف على الربوة العالية التي تطل على الهرم ناصع البياض القابع أمامه..

ها هو الحصن الأخير الذي يحول بينه وبين حكم الأرض، إن سقط سيعود له هذا الكوكب بأكلمه، لم يتخيل أن تحكمه هذه الكائنات البشرية الضعيفة يومًا، هو لا يتقبلها، ولكن لا يوجد سواها ليحكمهم ويبسط سيطرته عليهم.

يريد أن يعيد كيانات الظلام التي اختفت إلى الصدارة، لقد كانوا سندًا قويًا له في الماضي وسيحتاجهم في هذه المواجهة تحديدًا، حاول التواصل معهم قبل يومين وتحريرهم ليعلم إنهم أصبحوا ١٢ كيانًا فقط، ولكن قوتهم كفيلة بإنهاء المعركة لو لم تظهر له مفاجآت.

عاد إلى الجبل الأسود مقررًا الانتهاء من هذه المعركة سريعًا، فتنة الأرض تجعله غير قادر أن يعيش

يومًا دون أن يحكمها كاملةً، فكر في أن يعين بحتي نائبًا له لإدارة شؤون البشر ولكنه يحس من داخله إنه ضعيف غير مؤهل لذلك، ربما يقتله بعد انتهاء المعركة فهو لا يريد شوكة في ظهره، ولا يريد المجازفة بضعف البشر مهما أبدو سوءًا وشرًا، يؤمن أن داخل كل شر نبتة صغيرة من النور قد تنمو يومًا في ظروف معينة حتى تزيح الظلام شيئًا فشيئًا، لن يسمح بحدوث هذا.

دخل الجبل الأسود وهو يتذكر معركته مع أتباع النور في هذا المكان التي انتهت بتكبيله في أعماق الأرض، الجيساس أقوى المخلوقات حينها الذي تعلم السحر وعاث في الأرض فسادًا إلى أن عوقب جراء ما فعله.

القادم من حيث لا يدري أحد ولن يتصور مخلوق والذي خاض معارك ضارية للسيطرة على الأرض في كل عصر وحين، كثيرًا ما كاد أن ينجح ولكن دائمًا كانت هناك قوى لا يعلمها تمنعه من الفوز الأخير وكأنها تتركه يمزح بسلطانه حتى يتلقى الضربة التي تعيده من حيث بدأ.

تعلم السحر وعلوم الباطن ونهم من المعرفة ما لا يتخيله عقل، حتى وصل إلى مرحلة التواصل مع أكوان لا يعلم عنها إنسٌ أو مخلوق آخر، أكوان من الشر

الخالص والخطايا غير المنتهية، أكوان ليس بها ضياء أو نور أو علم مظلم وشر وكره، من هذه الأكوان استدعى كيانات الظلام وجعلهم تابعين له يأمرهم فيلبون دون تفكير أو رفض، مخلوقات مثالية وسوط عذاب يوجهه إلى من يريد.

كاد أن ينجح بهم في السيطرة على الأرض ولكن يومًا -لا يتذكره ولكنه منذ آلاف السنين- أتى له رجلٌ ضخم بلحية سوداء طويلة وعصا ملفوفة الشكل بيضاء تشع ضوء أبيض باهت به حمرة بسيطة، طلب منه أن يكف يده عن الأرض، يتذكر كيف سخر منه حينها وألقى عليه تعاويذ لقتله ولكنه اختفى فجأة!

لا يعلم ما حدث حينها سوى أنه نام واستيقظ على صوت كيانات الظلام وهي تزمجر.

شاهدها تُكبل وتموت رغم قدرتها على خلق الوهم الذي دومًا ما كان ينقذهم وينقذه في أي مواجهة، وجد أمامه ضوءًا ساطعًا لا يرى ما خلفه، لم يدر بنفسه إلا وهو مقيد بشيء ما لا يقدر على تحرير جسده الضخم منه، صرخ وتوعد وثار ولكنه سقط أرضًا ثم ابتلعته الأرض حتى أيقظته التضحية البشرية الأخيرة من سباته الطويل.

لطالما عشق الأرض وأراد حكمها، لهذه الدرجة تُغير طبيعتها وسلطتها الأرواح؟ أم أنه الجبروت الموجود داخل كل ما خلقها الله؟ لا يعلم ولكنه مفتون بها وسيحكمها هذه المرة مهما حدث.

قطع أفكاره صوت تصفيق؛ فالتفت غاضبًا فمن الذي يجرؤ على مقاطعته في خلوته!

كيان ضخم يشبهه، نفس المظهر تقريبًا ولكن ليس هو فلا يمكن أن يكون منه نسختين!

- من أنت؟!
- نفسك!

ثار وهو يقترب من الكيان الأسود الضخم الذي يبدو أنه نسخة منه بالفعل: أكرهها من أنت وماذا تريد أيها اللعين؟!

- قلت إني نفسك، أما ما أريد فأنا فكرت في أنك تريد المساعدة ولهذا جئتك.
- لا أحتاجك.
- بل كل منا يحتاج إلى الآخر!
- هيهات، الجيساس لا يحتاج إلى آخرين.
- حتى أنا؟
- لا أعلم من أنت بالأساس.

- أنا القادم إليك زائرًا وموجودًا منذ فجر التاريخ.
- من الأرض تقصد؟
- لا ولكن فتنني من يسكنها.

رد الجيساس: أنا أريد أن أحكمهم.

سارع شبيهه بالقول: وأنا أريد أن أحكم بهم.

استدار الجيساس وهو يستعد للخروج من الجبل ثانية:

- طريقنا مختلف.

وجد أمامه شبيهه فجأة وهو يقول:

- طريقنا واحد وهدفنا مشترك، كلانا شر لن ينتهي.

قال الجيساس بحسم: لن أنتهي ولن أموت؛ بل سأحكمهم وستكون شاهدًا على ذلك قريبًا.

- لا أحد خالد، الكل سيموت، أنا وأنت، ولكن أنا موصول بالزمن لن أنقطع عنه إلا بعد مهمتي، أما أنت فلولاي لما وُجدت.

تعجب الجيساس:

- ماذا تقصد؟
- أنا سبب وجودك، أنا الخوف الذي يجعلهم يساقون إليك، أنا النيران المستعرة في قلوب

الحاقدين والكاذبين، أنا الشر الجاثم في الفؤاد ويخرج بروح تزهق أو خيانة تحدث أو زنا يقع، أنا من يجعل للجحيم زبائنه الذين لا ينتهون على مر الزمان، أنا الطريق المرسوم بالورود وواقعه حلقوم..

ثم ضحك باستخفاف، وأضاف: أما أنت!

بهت الجيساس وصمت لثوان يفكر ثم قال:

- ماذا تريد؟
- لا أريد إلا النصر المبين لك ولي.
- اقتربت منه.
- لا، بل يبتعد عنك كلما اقتربت والدليل ما يحدث معك عبر التاريخ.
- والحل؟
- لا تحكم، دعهم هم يحكمون وأنت تسود وتحركهم، هؤلاء يسري في قلوبهم الخوف من المجهول، كن أنت المجهول، اجعلهم هم من يسقطون الحصن الأخير ثم اتركهم وكن في جبل الظلام ودعهم يعيشون في الخوف والألم، لا تضع لهم سبيلًا للانقلاب عليك، حركهم كالدمى، خلاصة القول لا تأمن لبشر بل تلاعب بهم.

قال كلماته الغريبة واختفى، بينما الجيساس يقف مذهولًا يفكر، هل ينفذ نصيحته؟ لا لن يفعل، فمنذ متى صدق هذا الزائر الغامض؟!

قرر استكمال خطته مهما حدث، نفذ تعاويذ الاستدعاء وتحرير كيانات الظلام المتبقية من الجبال والكهوف التي كانوا يختبئون فيها منذ آلاف السنين؛ ثم استعد للمعركة الأخيرة ضد الهرم الأبيض ومن داخله وعلى وجهه البشع ترتسم ابتسامة المنتصر الذي سيحكم الأرض يومًا.

المعركة

وقف الجيساس بجيشه الضخم في مواجة الهرم الأبيض، وافترش بجيشه الأرض بين المعبد والهرم.

في المقدمة كان البشر المخلصين له ثم الحيوانات المفترسة التي تعمل طوع أمره ويسيطر عليها بقيادة بحتي، ثم هو والكيانات المظلمة تلتف حوله لحمايته ضد أي خديعة قد تحدث، أما في الأعلى فكانت طيور الموت ترفرف معلنة اقتراب معركة المصير وتصدر فحيحًا مخيفًا لا يناسب هيئتها الجميلة!

في الأعلى وقفت تي تراقب المشهد، تحاول بشتى الطرق ألا يتمكن منها الخوف فلو نجح في الدخول إلى روحها لسقطت سريعًا.

قدس الأقداس يضم الأسرة الملكية والأطفال، لو سقطوا سقطت البلاد، بل سقطت الأرض بمن عليها، وهي لن تسمح بذلك مهما حدث.

لا تريد سوى أن تنجح خطتها، فالعواقب وخيمة نعم ولكن لا سبيل آخر، وعندما يصبح الواقع مستحيلًا لا يوجد سوى تنفيذ ما لا يقدر العقل على تصوره.

ساعات والترقب يجثم على المكان، جيش الجيساس يقف منتظرًا وفي المقابل الهرم شامخًا، من يمل سريعًا ويطلق إشارة البدء؟!

فعلها الجيساس، لا يقدر على انتظار المزيد من الوقت، وكأن ما يمر من دقائق ينقص من سطوته وقوته، فهو يريد النصر في أسرع وقت ولا يتحمل المزيد من الروية، سيقتحم هذا الهرم ويدمره لكن عليه أولًا الاستطلاع بطيوره.

نظر إلى بحتي الذي فهم المطلوب ليدقق بصره إلى الأعلى ويهمهم بكلمات ما لتلتقط الطيور الإشارة وتقترب وهي تطير من الهرم.

الهرم ضخم للغاية من الأعلى، مصنوع من مادة بيضاء غريبة ونقوش ذهبية وتعاويذ مضيئة وفي الأعلى من الجهة اليمنى تمثال ذهبي لنسر يفرد جناحيه متحديًا وقطعة حديدية على قمته.

فجأة تحرك النسر الضخم!

وكأنه نهض من سباته الطويل ليتجه صوب طيور الموت ويدخل في معركة جوية معها، تحاول التكالب عليه وخمشه بأظافرها التي تحمل الهلاك ولكن لم تؤثر في جسده المصنوع من الذهب الخالص، أما هو فردّ بإطلاق صوت رفيع وهو ينقض عليهم ويلتقطهم

واحدًا تلو الآخر؛ ثم يطبق عليهم بمخالبه الحادة للغاية فيتمزقون بسهولة وتتساقط أشلاؤهم فوق رؤوس جيش الجيساس.

الغضب باديًا على الوجوه، بحتي يصرخ غاضبًا والجيساس علم ما يريد، فهناك تعاويذ تمنع دخول السحر، وعليه الاعتماد على البشر كبداية لتدمير الهرم أو جزء منه أو على الأقل تدمير مكامن التعاويذ لتدخل باقي الكائنات..

أعطى إشارة البدء ليتعالى صوت صراخ البشر في الطليعة وهم يقتربون بسرعة من الهرم، ليقتربوا منه حتى وصلوا إلى أطرافه وينفذوا حصارًا شاملًا بتعاون بين الإنس والحيوانات التابعة لبحتي، ثم بدأوا في الحفر بأيديهم التي انفجرت منها الدماء ولكنهم لم يبالوا وكأن دورهم هو الخمش وإزاحة التعاويذ فقط من الصخور البيضاء!

دقائق مرت حتى تصاعد صوت هادر فجأة في المكان، ليتوقف الجميع، ونظر الجيساس مترقبًا ما سيحدث.

رُفعت ألواح زجاجية شبيهة بالزجاج على المعبد أمام كل الصخور التي بُني بها الهرم لتغطيه بأكلمه!

تعجب الجميع، ما فائدة الزجاج؟!

أمر الجيساس باستمرار الحفر ونزع التعاويذ حتى نجح البشر في محوها من الصف الأول للهرم، الزجاج ما زال موجودًا، والجيساس يفكر، بالتأكيد هناك سبب لوجوده ولكن ما هو؟!

نظر بحتي إلى الجيساس وقال إن الصف الأول آمن للدخول والاقتحام؛ فهناك عشرات الأبواب حول الهرم وتم نزع التعاويذ عن بعضها، فأعطى له الجيساس إشارة الانطلاق بمن معه، ثم بدأ التحرك هو الآخر والكيانات حوله واقترب من الهرم استعدادًا لاقتحامه.

تصاعد صوت زئير من الخلف فجأة لينظروا ويجدوا الكائنات التي كانت تزين المعبد تتحرك، الأسد ذو الرأس البشري يركض ومعه كائنات أخرى غريبة صعودًا إلى أعلاه!

فكر الجيساس، هل يهربون، يبدو إنهم الكائنات التي تحمي قدس الأقداس والمعبد، هل لهذه الدرجة قوته تخيف البشر وجميع الكائنات؟! يريد أن يبتسم فخرًا ولكن الوقت لم يسعفه!

سريعًا أمر الكيانات باستخدام قواها في الوهم، ليتصاعد في المكان صوت صفير حاد، ثم بدأت رؤى

غريبة تراود تي والكاهن، شاهدا حيوانات ضخمة للغاية وكرات نار تتدحرج تجاه الهرم!

لا يعلمان أنهما في حالة وهم حتى وصلت كرات النار والحيوانات إلى حافة الهرم واختفت بغتة ففهما ما يدور، ليكون الرد من جانبهما هو تلاوة كلمات متسارعة تحمل بعض الأرقام لتصطف جميع الكائنات التي تحرس المعبد الضخم في مواجهة الهرم لتفتح فجأة فمها على اتساعه ليبدو أنها تصرخ دون صوت!

ظهرت دوامات في الهواء أطاحت بالرمال والصخور ما بين المعبد والهرم، أزاحت كل ما يعترض طريقها، بشر وحيوانات وكيانات وحتى الجيساس الذي وجد نفسه يطاح به في الهواء ليصطدم بالهرم ويسقط أرضًا، لأول مرة يتألم، لأول مرة يحس كما البشر ويصرخ غاضبًا وبشدة!

الكائنات فوق المعبد لم تمهلهم، أطلقت صرخات متتالية، كل صرخة بدوامة غريبة لم يعلموا أنها موجات فوق صوتية، تطيح بهم وتمزقهم؛ ثم تصطدم بالزجاج على الهرم وترتد ثانية على الزجاج في المعبد لتعود ثانية وتطيح بمن بين المعبد والهرم، موجات قضت على غالبية جيشه في دقائق ولا يعلم كيف!

لم يضع مثل هذه الخطة في الحسبان، بل لم يعلم أنهم وصلوا إلى هذه الدرجة من المعرفة..

ما زاد الطين بلة بالنسبة إلى الجيساس هي تي والكائن الأكبر، وقفا في الأعلى وشاهدهما يطلقان كرات النار وتعاويذ السيطرة على من يحاول الفرار ليخر على الأرض دون حراك!

الحيوان الضخم ذو جسم الأسد يقفز من أعلى المعبد وينزل إلى الساحة وخلفه باقي المجموعة لتمزيق الناجيين.

حاول أن يقفز إلى الأعلى أو يضع ساترًا من السحر يحميه فلم يقدر، ولكن الكيانات استخدمت قوتها لحمايته، لا يقدرون على التحرك، حتى هم سقطوا معه!

الصراخ يصم الآذان، والأشلاء تتبعثر في المكان الذي تحول إلى بحيرة من الدم، يحس بقوته تنهار، لن يستسلم ولكن لا يقدر على المقاومة، جسده الذي تحول إلى ما يشبه أجسام البشر، ولكن بضخامة كبيرة تأثر بشدة بهذه الدوامات الهوائية، لم يشعر إلا بسوط يزيح الكيانات حوله وأفاعي تلتف حول جسده الضخم، أفاعي بيضاء غريبة الشكل ولكنها تستكمل ما بدأته الكائنات، تمتص طاقته!

يرى كيانات الظلام بعضها يفنى أمامه ويتحول إلى سيل من الظلام سرعان من يختفي، وسوط من النار يهوي على ظهره وتعاويذ تكبيل تتلى عليه، صرخ غاضبًا وهو يحاول الفكاك بون جدوى، ليس الجيساس الذي يعود ويُهزم!

أصبح الوضع أكثر صعوبة، تبقت كيانات قليلة للغاية حوله، وضع يده على أقربهم إليه وتلا بعض الكلمات لينتفض الكيان ويسقط أرضًا ويغطي الرمال بالظلام ثم يطير فجأة إلى الأعلى ويتفادى بعض كرات النار حتى يهرب، ظل متابعًا إياه بنظره حتى أصابته ضربة أخرى من سوط أبيض هذه المرة كبلته تمامًا على الرمال!

خلال ساعة هدأ الوضع تمامًا، الشمس أصبحت كتلة من اللون الأحمر وكأن دماء الأرض انعكست عليها، وفي الأسفل وقف الكائن الأكبر وبجواره تي أمام الجيساس المكبل في الأرض بالعديد من الأسواط والأصفاد، يعلم أنها لن تكبله طويلًا فهي ليست بقوة أصفاد الجن والملائكة، وتي تعلم أيضًا هذا، ولكن لديها خطة أخرى!

رفعت تي جسد الجيساس بالسحر بمساعدة الكاهن الأكبر واقتربت به من الهرم لتتلو بعض التعاويذ

التي تسمح بدخوله إلى المكان؛ ثم ظلت تسير به في أروقة وممرات طويلة مرسوم عليها تعاويذ حماية باللون الأحمر والأزرق حتى أدخلته في غرفة ضخمة للغاية يتصاعد منها ضوء أبيض خفيف لا يظهر من أين يأتي، وضعته وسط الغرفة، ثم خرجت سريعًا ومعها الكاهن وهي تشير بأيديها إلى أبواب صخرية تزحزحت من مكانها لتغلق الغرفة تمامًا على الجيساس في الداخل.

هل أنت متأكدة من هذه الخطوة؟ ألقى الكاهن هذا السؤال على تي بنبرة حملت الإنهاك لتجيب أنه لا يوجد سواها.

أمسك بيدها واتكأ على عصاه وهو يقول: دعينا نفعلها إذن.

لم يكمل عبارته، بل شهق بشدة وهو يسقط أرضًا ومن خلفه بحتي يقف بخنجره الأسود ويضحك بجنون، لم تتمالك تي نفسها لتلقي عليه كرة من النار مباشرة وتشير إلى الباب الحجري بيدها اليمني لينفتح منه جزء؛ ثم قبضت يدها اليسرى في الهواء ليحمل شيئًا ما بحتي، ثم أطاحت بيدها إلى الغرفة ليندفع شقيقها إلى الداخل بسرعة قبل أن يصدر أي ردة فعل، سمعت صراخه الغاضب وهي تشير للغرفة بالإغلاق،

الغرفة من الداخل تمنع أي سحر ولهذا هو سجن مناسب للغاية لأخيها، سيموت هنا ومعه الجيساس، ولكن عليها أولًا أن تنفذ مهمتها وبعد موت الكائن أصبح الوضع أكثر صعوبة.

صعدت سريعًا عبر سلالم داخلية في الهرم حتى وصلت إلى صخرة ضخمة أشارت لها لتتراجع إلى الخلف وكأنها باب لتخرج وتجد نفسها على قمة الهرم، تحركت سريعًا إلى كتلة معدنية ضخمة مثبتة أعلى الهرم لتمسك بها وتتلو عبارات حفظتها عن ظهر قلب وهي تنظر حولها إلى المعبد والكائنات التي كانت تحرسه، وجدت الأسد ذو الرأس البشري وهو يقف وينظر إلى ناحية الشرق وبعض الكائنات قد قُتلت في الحرب لتلتفت ثانية إلى الكتلة المعدنية لتجدها بدأت في الاحمرار بشدة، ها قد بدأ الأمر.

استمرت في تلاوة الكلمات وهي تغمض عينيها، عليها أن تسحب قوة السحر من أركان الأرض عبر الهرم الذي يتوسط الكون، ستسحب قوة السحر لتصنع سجنًا من الطاقة الخالصة تحبس فيه الجيساس.

تعلم أنها بهذه الخطوة ستمتص كل أنواع السحر حتى التي تحرك هذه الكائنات في الأسفل، لكنها لن تجازف أن يخرج الجيساس ثانية ويدمر الأرض، كما

أنها ربما تدفع روحها ثمنًا لهذه المهمة ولكن تضحية روح واحدة أهون من عبودية البشر للشر.

بدأت الأرض في الارتجاج وكأن زلزالًا ضخمًا يحدث، وتصاعد شعاع ضخم من النور من الكتلة التي تمسك بها حتى ضربت السماء، ظلت هكذا لدقائق، تشعب الضوء الأبيض وكأنه يغطي السماء ويحاصر الأرض بأكملها، أحست بطاقة تكاد تمزق روحها، ولكنها لا تملك إلا أن تتحمل فلا بديل أمامها..

انحصر النور فجأة من السماء ليتحول إلى شعاع واحد ضرب فجأة الكتلة ليسري في الهرم بأكمله ليطيح بها إلى الخلف بقوة لتفقد الوعي.

ظل الهرم مضيئًا لأكثر من يوم كامل، وتي ما زالت فاقدة الوعي.

وفي الأسفل وقف البشر الذين أتوا من كل حدب وصوب يشاهدون هذه المعجزة، الكائنات تحولت إلى حجارة والزجاج في قدس الأقداس تفتت فجأة وتساقطت المواد البيضاء والكثير من الحجارة بالهرم لينشوه شكله تمامًا بفعل الطاقة الكبيرة التي تسري داخله؛ حتى خفت الضوء فجأة ليسود الهدوء المكان معلنًا عن عصر جديد بدون سحر أو كهنة مرتلين.

بالطبع كان على تي إقناع الملك أن يبدأ بناء هرم آخر على أطلال القديم فلا يمكن المجازفة بتركه بهذا الشكل ليعلن بالفعل خوفو المعظم بدء البناء ولكن هذه المرة بدون سحر شريطة أن يكون بلا ممرات سرية أو غرف للمحاكمة أو التدريس كما كان في السابق، بل مجرد مقبرة ملكية وأسفلها على عمق كبير يقبع سجن الجيساس وبحتي.

أصبح الهرم رمزًا لمعركة لم يذكرها التاريخ ولن يتحدث عنها أحد، لينهي عهد السحر والسحرة وإن حاول البعض رسم ما حدث في بعض الألواح وهي رسومات مبهمة ناتجة عن موقف لا يستوعبه عقل، واستعان الملك حينها بالكثير من الحكماء وبرسومات قديمة لتصميم الهرم الأصلي ليصبح أعجوبة فيزيائية وفلكية لن تتكرر.

بالنسبة إلى تي لم تنته الأحداث فقد ظلت تحلم بعودة الجيساس، فمن داخلها تعرف أن نسلها فقط لديه قوة السحر كما أنها شاهدت الكيان الأسود وهو يطير مبتعدًا عن المعركة قبل سقوط الجيساس ولا تعلم ما يحمله أو ينويه.

لديها دور لا يقل أهمية عن المعركة، وهو أن تصنع إرثها الخاص ويكون لديها نسلٌ قادرٌ على المواجهة

المقبلة، لكن عليها أولًا الهروب إلى الجنوب لتكون بعيدة عن أعين المتلصصين فبأمر الملك من سيحاول أن يعيد السحر ثانية إلى البلاد ستكون عقوبته الإعدام بسم الكوبرا.

2020 – مصر

لا يدري كيف وصل إلى هذا المكان؟!

الظلام حوله يغلفه ويثير في قلبه انقباضًا ممزوجًا بترقب لحدث ما لا يدري ما هو، يعلم إن المكان أسفل الأرض ربما مغارة أو كهف، لا يعلم تحديدًا ولكنه يشعر فيه ببعض الألفة.

تحسس الأرض أسفل قدميه التي تفاجأ أنها حافية، صخرية حادة تكاد أن تدميها، يعلم أنه يحلم ومن المفترض أن يستيقظ الآن بعد أن عرف ذلك، ولكنه مستمر فيه، يبدو أن الحدث الأهم لم يتم بعد وينتظره حتى يستيقظ، هكذا تُدار الأحلام فلا يوجد بها مجال للا شيء!

سمع صوتًا في رأسه فجأة فانتفض، لا يدري من أين جاء ولكنه دخل في عقله وكأنه يبعث له رسالة معينة، لم يفهم معناها ولكنه فهمه جيدًا «اقترب وقتك»!

استيقظ أمجد قاسم غارقًا في العرق بعد الحلم، ليس مخيفًا ولكنه يحمل من الغموض ما يجعله يرتجف بعد استيقاظه، ليمد يده بجانبه ليلتقط زجاجة

المياه ويشرب منها، كان ظمئًا للغاية وكأنه خرج من الصحراء في يوم قيظ.

أنهى شربه ليجلس معتدلًا وينتفض ثانية بسبب صوت هاتفه الذي تعالى فجأة بجانبه معلنًا عن اتصال، أمسك الهاتف سريعًا وهو يتعجب: من الذي يتصل في السادسة صباحًا ليجده صديقه الرائد محمد سعيد، فكر وهو يحرك أصبعه ليُجيب منذ متى يتصل به صديقه في هذا التوقيت..؟ بالتأكيد الأمر هام وسيعلم خلال ثوان!

الأمر كان مهمًا بالنسبة إلى الطرفين بالفعل؛ حيث استمع أمجد لثوانٍ ثم قدم الشكر الجزيل إلى صديقه لينهي المكالمة ويدون بعض الكلمات في مفكرة صغيرة يضعها بجانبه دائمًا وعلى وجهه ترتسم ابتسامةً من خبر سيحمل له النجاح، ثم أتته رسالة فتحها سريعًا ليتطلع على فحواها؛ ثم أغلق هاتفه ونهض سريعًا وقد تناسى الحلم الغريب ليستعد لشرب فنجان من القهوة ثم الإفطار، وهي عادة حاول أن يقلع عنها كثيرًا ولكنه فشل.

انتهى سريعًا وارتدى ملابسه، ثم نزل وهو يلقي التحية على «عم محمد» حارس العقار الذي يسكن فيه والذي رفع عيناه محييًا إياه دون أن يتحدث كعادته

منذ سنوات، ركب سيارته ذات اللون الأحمر من موديل التسعينات وهو يفكر في مغامرته الصحفية الجديدة في طريقه إلى الصحيفة.

دومًا ما كان يتخيل اسمه أمجد قاسم وسط كبار الصحفيين بل ولا مانع من أن ينال لقب «نقيب الصحفيين» يومًا ما نظير جهوده في كشف شيء ما أو فضيحة أو تحقيق استقصائي يقوده إلى عالم النجاح كما حدث قبل عام مع الصحفيين الذين كشفوا ملفات فساد ملياراية وحسابات سرية لرؤساء وزعماء والمعروفة باسم «وثائق بنما».

هو ليس ضعيفًا في مجال الصحافة؛ حيث سبق له نشر العديد من المواضيع المهمة في صحف مصرية وعربية بل وأجنبية ولكن بشكل لا إرادي خلال السنوات الأخيرة ذاع صيته في التحقيقات ذات الطابع المخيف مثل القرى التي تحترق وحدها أو الجثث التي تم العثور عليها في قرية بسوهاج خالية من الدماء أو حتى دخوله المناطق المسكونة مثل عمارة رشدي في الإسكندرية وقرية نجع أبو فؤاد التي يظهر فيها يوميًا فتاة تصرخ وتجري في شوارعها وهي تبكي دمًا؛ ثم تختفي قبل مغيب الشمس، خاض الكثير ولكنه ما زال

ينتظر الأكثر، ويساعده في ذلك صديقه الرائد محمد سعيد في الأمن الوطني.

يحدثه هاتفيًا مثلما حدث صباحًا أو يتقابلان كلما وجد شيئًا غريبًا ليكون حاضرًا ويقدم تغطية مميزة، وهي علاقة بدأت بخدمات متبادلة، ثم دخل بينهما رابط قوي يدعى الصداقة والألفة؛ وطد العلاقات لسنوات ورسخت لمستقبل واضح معالمه..

ذهب لمشوار استغرق منه ٣ ساعات؛ ثم الجريدة وقدم بعض التحقيقات التي عمل عليها خلال الفترة الأخيرة، بعضها سياسي والآخر ميداني عن مشاكل إنسانية ومناطق لا يوجد بها خدمات ولكن ذهنه كان مشغولًا بمغامرته غدًا!

في السادسة مساءً نزل سريعًا ولم ينسَ أن يُحضر بعض الطعام قبل العودة إلى المنزل، يعيش وحيدًا بعد أن توفي والده قبل ١٠ سنوات، أو ربما انتحر، لا يعلم، ولكن أمه لحقت به بعدها ليعيش وحيدًا معتمدًا على فوائد بنكية تخرج له من إرثه الذي أودعه في حسابٍ يدر عليه عائدًا شهريًا لا يتجاوز ١٥٠٠ جنيه ولكنه يساعد في المعيشة بجانب راتبه خاصةً وأن شقته تمليك.

وضع خطته ليوم غد فور عودته وهو يتناول طعامه حتى قبل أن يخلع ملابسه، لا يحب عامةً أن يكون كل شيءٍ «بظروفه»، بل يدقق في التفاصيل جيدًا ولا يترك شيئًا للظروف، استرجع ما سيفعله وهو يغمض عينيه ويُشعل سيجارته فنجان قهوة ما بعد الغداء، هذه المرة سيفتح ملفّ البحث عن الآثار ولكن من زاويةٍ جديدة غير مستهلكة في السوق الصحفي، سيحاول أن يكون حاضرًا لعملية استخراج كنوز، صديقه محمد حدثه صباحًا رغم أن الوقت باكرٌ للغاية، ولكنه أعطى له موقع شخصٍ يدعى سمرة يتاجر في الآثار ويسهل خداعه وتصوير العملية كاملةً، لا يدري ثقة صديقه في أن الخطة ستنجح ولكنه يعتمد على نفسه وأن يتوكل والنجاح يأتي من الله بعد ذلك.

عليه فقط الذهاب إلى سمرة هذا، وتنفيذ الخطة التي وضعها وبدأها قبل ذهابه إلى الجريدة صباحًا، غلبه النوم فجأة بعد أن انتهى من كل شيء، ووضع العديد من الاحتمالات لما قد يحدث، هو لا يغلبه النوم من قبل دون استعداد، ولكنه استسلم لشعور النعاس سريعًا ليتمدد على الأريكة في صالة منزله وينام.

للمرة الثانية وجد نفسه في المكان المظلم ذاته، ولكن هذه المرة كان يركع أمام كائن بشع للغاية، حاول

أن يرفض أو ينهض ويصرخ أو حتى يهرب إلى أي مكان بعيدًا عن وجهه اللعين، ولكن جسده رفض أن يتحرك، جسمه كأن له إرادة مستقلة، أحنى رأسه وكأنه يقدم فروض الولاء.

أحس بملمسٍ خشن في يده اليمنى؛ فنظر إليها ليجد خنجرًا أسود معقوف هيئته مخيفة، وقبل أن يسأل نفسه عن سبب وجوده سمع صوتًا يتردد في عقله مثل الحلم الأول «اقتلها بأمر سيدي».

نهض وهو لا يدري إلى أين ولكن جسده ربما يعلم، استدار وسار بآلية إلى حائط تخرج منه أصفادٌ معلقةٌ فيها فتاة سمراء جميلة ويبدو إنها نائمة أو فاقدة الوعي، اتجه نحوها مباشرة لتفتح عينيها فجأة ويستيقظ صارخًا فزعًا من غفوته!

هذه المرة أحس ببرودة تسري في أوصاله، ما الذي يحلم به؟! ومنذ متى يحلم بمثل هذه الأشياء؟! ومن هذه الفتاة؟!

نظر في ساعة الحائط المعلقة أمامه أعلى التلفاز ليجدها الرابعة فجرًا، لقد نام كثيرًا دون أن يدري وأمامه بعض الوقت قبل النزول، صلى الفجر ثم جلس يقرأ القرآن والخوف لم يفارق روحه من مشهد المسخ الذي زاره في الحلم وركع له!

غلبه النوم ثانية، ولكن هذه المرة دون أحلام نهائيًا ليستيقظ على صوت المنبه الذي يدق يوميًا في التاسعة صباحًا ليغلقه متكاسلًا ويعود إلى نومه؛ ليستيقظ بعدها في الحادية عشر وجسده زاد إنهاكه، يعلم جيدًا أنه لو نام بشكلٍ زائد يصيبه الإرهاق، يرى دومًا إن الأفضل له أن ينام لساعات قليلة أهون عليه من النوم أكثر من ٩ ساعات لأنه حينها يحتاج إلى عدة فناجين من القهوة ليستعيد تفكيره، وهو ما حدث بالفعل.

أيقن أنه أصبح بكامل قواه الذهنية لينزل من المنزل متجهًا إلى مكان تحقيقه الجديد الذي سيجعله ضمن أقوى الأسماء في عالم الصحافة؛ محاولًا تناسي الكابوس الذي زاره ليلًا، وكان زحام الطريق كفيلًا أن ينسيه ما حدث، بل وينسيه اسمه، لكنه استغل هذه الفرصة وهو يفكر في النجاح المنتظر حتى وصل أخيرًا وركن سيارته بعيدًا عن المنطقة المختارة ثم دخل إليها.

حارة طويلة تشبه السوق ولكن بها تجار كفيلين بسداد ديون مصر، الوجهة هذه المرة هي مقهى شعبي قديم دخل إليه بالفعل وهو يرتدي ملابسه العادية، ليست غالية تلفت له الأنظار وليست قديمة وتبدو

رخيصة؛ فتجعل البعض يعامله باستحقار، طلب فنجانًا من القهوة وأشعل سيجارته ثم نادى على الصبي الذي يقدم المشروبات وسأله عن سمسار شقق يدعى سمرة.، يبدو إنه معروفٌ، لأن الصبي أشار مباشرة إلى طاولة خلفه وقال:

- هنا.

نظر أمجد خلفه لتجحظ عيناه ذهولًا

ردد في سره وهو يحدق فيها بغرابة، «كيف؟!»

هي نفس الفتاة التي طلب منه المسخ قتلها!

عرقٌ باردٌ يحس به؛ يغرق ظهره ويداه بدأتا في التنميل بعض الشيء، ما هذا المسخ ومن هذه الفتاة، وهل ما حدث صدفة؟! مستحيل لأنه لم يرها من قبل فكيف حلم بها؟!

الفتاة قمحية البشرة تقترب من الاسمرار؛ متوسطة الطول؛ عيناها متقدتان بالذكاء وترتدي عباءة سمراء أنيقة، وفي أنفها حلق صغير ذهبي وطرحة سوداء تهرب من أسفلها بعض الخصل الناعمة، أولًا لم يكن يعلم أن سمرة هي فتاة، ثانيًا كيف جاءت في الحلم، قرر إبعاد أي أفكار عن رأسه فهو يعلم جيدًا ألاعيب العقل الباطن وربما شاهدها من قبل ونسي ذلك، ثم حلم بها ليجدها اليوم، سيقنع نفسه بهذا ولكن

عليه فقط الآن السيطرة على نفسه سريعًا وتغيير الخطة قليلًا.

تقدم نحوها وعرفها بنفسه بزعم أنه طالب في كلية الآداب لتستقبله بابتسامة ودودة ويد خشنة بعض الشيء تنم عن مجهود يدوي؛ ثم جلس بجانبها وهي تنتظر أن يحدد مطلبه، ادعى كذبًا إنه أجَّر شقة في المنطقة وفعل هذا بالفعل قبل يومين ولكن يريد تغييرها، تعجبت من سرعة قراره بشأن تغيير الشقة؛ لتسأله عن السبب ليرد أنها «نحس» منذ أن دخلها ويحلم بكوابيس، صناديق ذهبية يبدو إنها فرعونية وكلما اقترب منها؛ خرجت من وسط المجوهرات والذهب ثعابين كثيرة تكسو الأرض فيستيقظ صارخًا، تعجبت سمرة بالطبع ولكنها وعدته بتوفير شقة بديلة له غدًا على الأكثر، وحصلت على رقم هاتفه وهو رقمه الشخصي للغاية حتى لا يظهر على «تروكولر» باسمه الصحفي أو بيانات تقود إلى حقيقته.

بالطبع كان أمجد قد قرأ بعض الشيء في موضوع الآثار، وعلم إن هناك أشخاص لهم القدرة على الإحساس بالأماكن الأثرية وتأتي لهم رؤى أو أحلام يقظة كلما مروا قربها فقصد أن يلقي لها هذا الطُعم لتلتقطه بسهولة، طلبت منه قبل الرحيل رقم عنوان

الشقة التي يمكث فيها، فأبدى خوفًا ظاهريًا من الطلب ورفض في البداية محرجًا؛ لتضحك ضحكة صافية جعلته يبتسم رغمًا عنه، لتقول إنها لن تؤذينه أو ترسل أحدًا يخطفه ليلًا، فلا داعي للخوف، كما أن الجميع هناك يعرفها وتجلس في المقهى من الصباح حتى المساء لأنها تعيش وحيدة بعد أن أتت مع والدها الذي توفي من جفت في قنا التي أسمتها «بلد الرجال».

بالطبع لم يرفض بعد هذا الحديث ليكشف لها موقع الشقة لتدونه في ورقة صغيرةٍ بخط جميل لا يناسب جلوسها في المقهى وعملها، ولكنه انتهى ورحل على وعد منها بالاتصال.

في اليوم التالي، وجدها تستوقفه في الحارة وتقول إنها وجدت شقة له بالقرب من المكان وتريد أن يأتي برفقتها، وكان حاضرًا معها شاب عشريني ينظر له بتهديد لا يعرف سببه.. فوافق شاكرًا إياها بنبرة ودودة وسارا سويًا لدقائق حتى وصلوا إلى المكان المقصود.

الشارع كان ضيقًا، ولكن به بعض الألفة البادية على وجوه المارة وأصحاب المحلات الصغيرة على الجانبين، والعقار كان يكتسي باللون الرمادي الخاص بأعمال «المحارة» فقط، وبوابة حديدية قديمة؛ ثم مدخل به موتور مياه أزرق اللون وقديم يبدو عليه

الصدأ في بعض جوانبه؛ ثم سلم إسمنتي يقود إلى الأعلى وغرفة أرضية مفتوحة بدون سيراميك أو ألوان على الحائط بل طوب أحمر وبها بعض الرمال، سألته هل يوجد أحد يعيش في هذه الشقة، فهز رأسه نافيًا، فتعجبت لأنني وجدت كوب شاي يبدو أنه لم يجف بجانب الرمال وأعقاب سجائر مطفأة في الرمال بجانب الكوب.

فكر سريعًا في أنه ربما يتم إيذائه، ولكن تساءل عن الدافع، بالتأكيد لن يحدث ذلك لأنه ليس غنيًا وهي لا تعرف من هو كما أنه من المستحيل أن يحمل هذا الوجه الجميل لمحة عدوانية قاتلة حتى وإن كانت تستخرج الآثار ولكنه فكر في شيء آخر، ربما تريد أن تتأكد من موهبته بالنسبة لرؤية الآثار، من المحتمل جدًا أن تضع قطعة آثار في الرمال بالشقة لمدة يوم واحد فقط؛ ثم تسألنه غدًا عن الوضع فلو أجاب بنعم سيتم استخراجها؛ ثم تنتظر يوم آخر، وتسأله وحينها يجب أن يؤكد أن الأحلام اختفت حتى يجعلهم يتمسكون به وينجح في كسب ثقتهم، خطة بسيطة للغاية ولكن من بساطتها لا يتوقع أحد أن يقدم عليها.

ولكن هل تأكدت سمرة من أن الشقة التي كان استأجرها قبل ذلك خالية من أية آثار؟ يعتقد إن

الإجابة نعم لأنها قديمة في المكان ومعروفة.

هو يعلم أن حي عين شمس يعتبر من أعرق أحياء القاهرة ويشكل جزءًا من مدينة هليوبوليس القديمة ويوجد به العديد من الآثار المدفونة؛ لأن من أسسه هم الفراعنة وينقسم إلى عين شمس الشرقية وعين شمس الغربية ويفصل بينهما الآن خط سكك حديد القاهرة - السويس وخط مترو الأنفاق (المرج - حلوان)، وهو سبب وجود كمية هائلة من الكنوز الفرعونية في باطنها.

صعدوا إلى الأعلى لتعطي له المفتاح بابتسامة أظهرت أسنانها البيضاء وغمازة لم يرها من قبل في وجه يحمل هذه الملامح الجميلة لتدعوه لفتح شقته الجديدة، فأخذ منها المفتاح وخلفه الرجل الغريب الذي لم توضح سمرة من هو، ويدير المفتاح ويفتح الباب.

بالطبع لم تدخل سمرة معه ولكن دخل الرجل الذي علم أن اسمه كامل ولم يمانع أمجد لأنه وجد الشقة رحبة بها غرفة معيشة وغرفة للنوم وحمام صغير ومطبخ مع مروحة سقف في كل غرفة وثلاجة من نوع قديم وغسالة متهالكة ولكن لا يهم كل ذلك، المهم أن يسير الأمر كما خطط له.

بالفعل لم يخطئ في تفكيره، ودار الأمر كما توقع بالضبط، اتصلت به في اليوم التالي وسألته عن الأوضاع، فقال إنه ما زال يحلم ويبدو إنه كابوس أو عقله الباطن، فطلبت منه قراءة أذكار الصباح والمساء وما إلى ذلك وأغلقت، كان يريد المزيد من الحديث معها ولكنه تخوف، فلم يمانع وأغلق الهاتف وظل ينظر إليه لدقائق وكأنها ستتصل به فلم يحدث.

قصة حب!

في اليوم التالي اتصلت ثانية وسألته عن الأحلام، فقال لها ضاحكًا يبدو إن أذكار الصباح والمساء أتت بنتيجة؛ لأنه لم يحلم بأي شيء بل كان نومًا صافيًا لتضحك برقة دق قلبه لها وهنأته، وطلبت منه الاتصال بها في حال احتاج إلى شيء ما، فشكرها بشدة وأغلق ليجلس في الشقة طوال النهار متذكرًا صوتها وهو تُحدثه، وهو يرددها لنفسه لقد سقط في فخ الحب!

حدثته ليلًا، وطلبت منه النزول إلى المقهى لشرب فنجان من القهوة معها فنزل سريعًا حتى أنه نسي محفظته؛ ليجدها تنتظره بود وترحاب ليجلس إلى جانبها ناسيًا كل شيء وكأنه طفل في أحضان أمه، لم يتخيل أن يكون سقوطه سريعًا بهذا الشكل ولكنه مستمتع إلى أقصى درجة بوجوده معها لتمر ساعة سريعًا إلى أن رن هاتفها لترد، ثم تنهض وهي تقول إن هناك شخصًا يريد شقة وعليها الذهاب لتودعه سريعًا ويصعد إلى شقته جارًا أذيال الحزن على لقاء لم يستمر إلى ما لا نهاية.

في الصباح وجدها تتصل به على الهاتف، وتدعوه للنزول للحديث في أمر هام، عندما قابلها أيقن إن هناك نبتة ما بدأت تُروى عشقًا تجاه هذه الفتاة، نبتة بدأت تحتل قلبه الخالي وتعلن عن ميلاد شيء ما، لم تطرق باب قلبه حتى؛ بل اقتحمته بشكلٍ مزّق جزءًا من روحه ووضع بعض الزهور على قبر تشاؤمه من الجنس الآخر، كانت ترتدي بنطالًا من الجينز وسترة جلدية ومن تحته قميصًا أسودًا، كانت تبدو جميلة وثرية وليست كما يعتقد إنها فقيرة لا ترتدي سوى العباءات!

لاحظت نظراته، لتسأله عما به، فأجاب بلا شيء، لتطلب منه باسمة وكأنها تفهم ما بداخله ركوب سيارة فيرنا سوداء للذهاب في مشوار لدقائق، كانت تجلس في الخلف فجلس بجانبها وسط نظرات متذمرة من كامل الذي كان يقود السيارة.

سألها عن وجهتها وتحجج أن وراءه مذاكرة، فقالت إنه مشوار إلى القطامية، وهي ليست بعيدة وتريد رجلًا معها، دق قلبه بعنف وهي تقول هذه الجملة على الرغم من عدم معرفتهما ببعضهما البعض أو تعاملهما من قبل؛ إلا أنه لم يعلق ويبدو أنها كانت تثق في ذلك فلم تتحدث أيضًا وإن استرق بعض النظرات في مرآة السائق أمامه ليشبع نظرًا في عينيها

الجميلتين، بنيتا اللون فاتحتين وكأنهما بحر بلا قرار، مع حدود لكحلٍ مرسوم زادهما اتساعًا وجمالًا، ابتسم رغمًا عنه؛ لأن هذا الشعور لم يجربه من قبل رغم وسامته إلا أن عمله كان الأولوية بالنسبة له منذ أن تخرج من كلية الآداب، ولكن هل سيستمر كذلك بعد أن التقى بسمرة؟!

لم يستمر المشوار بالفعل إلا دقائق فقط، ثم نزلا وهو ينظر حوله مستكشفًا المكان، منطقة شبه مهجورة ويسمع من بعيدٍ صوت قطار، بعض العمارات التي يبدو أنها مخالفة تقف في المنتصف مشوهة المشهد، طلبت منه أن يتبعها إلى إحدى هذه العمارات، فسار خلفها مسلوب الإرادة.

بمجرد دخوله وجد غطاءً على رأسه يعمي بصره وضربة خلف دماغه أفقدته الوعي، لا يدري كم استمر مغشيًا عليه ولكن عندما استيقظ وأدرك الفخ كان الغضب متمكنًا منه ليجدها جالسة على كرسي أمامه وهي تنظر له بحسرة وتقول:

- صحفي! لماذا تكذب علي؟ أنا لا أعرفك ولكن ما دمت تحدثت عن الآثار، فأنت تقصد أن تلفت نظري، لماذا؟ فتشنا ملابسك فلم نجد شيئًا ولكن وجدنا محفظتك وبها بطاقة مكتوب

عليها محرر صحفي وكارنيه لجريدة معروفة، ماذا كانت خطتك؟

كُشفت خطته لينتهد وهو يقول ويحاول في الوقت نفسه الفكاك من الحبل الذي يربط يديه إلى الخلف:

- لا أريد أي شيء، أردت فقط أن أنفذ تحقيقًا وأحضر عملية حفر للتنقيب عن الآثار فقط، لا أريد حتى أن يتم القبض على أحد، أريد النجاح في عملي وتقديم موضوع جيد يرشحني للعمل في أماكن أكبر براتب أعلى، هذا كل ما أريده.

انتظر لثوانٍ ليرى مردود كلماته عليها، لم يكذب في هذا فهو ليس مرشدًا للشرطة، ليجدها تطلب من أحدٍ خلفه بإشارة من يدها أن يفك وثاقه، وهي تقول بحدة: لسنا نعمل في الآثار يا هذا!

اقتربت منه وهي ما زالت غاضبة، وهو ينهض بعد أن حُررت يداه، وتابعت: ابن العاهرة الذي قال لك إنني أعمل في الآثار كاذب، أنا سمسارة شقق وعقارات فقط.

استدارت لترحل وهي تقول: محفظتك على الأرض كاملة بما كان فيها، لا أريد أن أراك ثانية في

المنطقة، وإلا ستندم والندم لدينا يعني أنه لن يفيد وأرجو أن تفهم الكلمة جيدًا.

سار سريعًا خلفها متجاهلًا النظرات المتحفزة من ٣ رجال حوله يبدو عليهم الشدة والبأس:

- انتظري يا سمرة.

التفتت ويكاد يقسم أن عينيها كان بهما بعض الدموع الحبيسة ليزيد:

- أقسم لك إنني لست تابعًا للشرطة، بل أريد فقط أن أكون معك.

بهتت لقوله، وردت متعجبة بنبرة منخفضة قليلًا: معي؟!

أجاب سريعًا وقد خرجت منه الكلمة بشكل لم يقصده أو يقصده، ولكن الوضع لا يتحمل أقوال مراهقين:

- أقصد في الحفر، أريد فقط التصوير وأقسم لك لن يمسكم سوء ومن يدري فربما نصبح أصدقاءً فيما بعد.

ردت بحسم يغيظ: سمرة لا تحب الأصدقاء وتكره الكاذبين، انتهى!

خرجت سريعًا وأمجد ما زال واقفًا في مكانه؛ متسمرًا؛ حاملًا ثقل الكون إحراجًا ليعود وينحني

لالتقاط المحفظة وسط نظرات عدائية من الرجال الذين خرجوا سريعًا خلفها.

قرر العودة إلى الشقة وإحضار مقتنياته وهو يردد من داخله إنه لن يعود إلى هذا المكان ثانية، بعد ساعة كان بالفعل في الشقة يضع ملابسه في حقيبة السفر الخاصة به للعودة إلى المنزل، لقد انتهت المغامرة بالنسبة له مبكرًا للغاية، خسر التحقيق وخسر قلبًا رق لأول مرة في حياته!

قرر شربَ فنجان من القهوة قبل النزول، على الأقل هو الأخير ليتذكر أيامًا شاهد فيها الوجه الحسن، مع رشفات القهوة اشتعل عقله بالتفكير، كان دومًا ضد فكرة الارتباط والزواج طالما لم يُكون نفسه ويصنع اسمًا في عالم الصحافة، فماذا جد؟ وكيف يفكر في شخصية تتاجر في الآثار بل وتعيش وحيدة وتجلس في المقهى طوال اليوم! غريب أيها الإنسان تفكر فقط فيما هو غير متاح لك وتترك ما هو أمامك!

أشعل سيجارته وهو يرتشف الفنجان ببطء وكأنه يماطل الزمن أو يحايله ليعطي له ثوان جديدة في هذا المكان، لا يعلم هل البن طعمه مر، إنها مرارة الخسارة، تذكر سمراء ثانية فلم يحس بنفسه إلا وقد انتهت

السيجارة بين أصابعه بأنفاس متلاحقة وكأنه يطارد صورتها في دخانها!

دق الباب، فنهض متثاقلًا ليفتح، كانت هي، بنظرتها المتحدية وغضبها وشفتيها اللاتي ضمتهما لتحاول أن تبدو قاسية ولكنها فشلت، دق قلبه بشدة وكأنه سيقفز ليحتضنها، ولكنه تماسك وسألها متعجبًا عن سبب مجيئها، فقالت: إن هناك عملية حفر مساءً ويمكنه الحضور، ولكنها أقسمت إن الشرطة لو جاءت ولو بالصدفة سيكون القتل مصيره، ضحك قلبه طربًا ودخل سريعًا إلى الحقيبة ليُخرج جاكيت أسود ليناسب الأجواء ليلًا ويقول لها إنه مستعد.

هل أشرقت الشمس ليلًا؟ لا لقد ضحكت فقط على مظهره وهو يجري كالطفل ليحضر ملابسه فرحًا بالنزول معها، قالت وقد استعادت جديتها بعد أن خرجت ضحكتها المُحرمة؛ إن الموعد مساءً وليس في النهار الآن لينظر لها وفي عينيه كلمات لا تُقال ولكن يبدو أن بين المحبين رسول كما يقولون؛ لأنها هذه المرة لم تتعجب من نظرته، يريد أن يسألها عن سبب تراجعها في رأيها ولكن لا تهم الإجابة فهي واضحة، ترتسم على وجهيهما، لو لم تكن ذابت عشقًا فيه هي الأخرى فهو مغفل كبير.

يعترف إنه عَشقَها رغم أنه لا يعرفها، عشقها وبحث في أصابعها الطويلة عن خواتم زواج أو خطبة؛ فلم يجد إلا خاتمًا به حجر كريم أزرق غريب فقط وهو بالتأكيد لا يخص الزواج، كما أنه لم يرَ معها أي رجل باستثناء الذي حضر معها عند استلامه الشقة.

استأذنت في الرحيل مع وعدٍ بمرور أحد رجالها عليه لاصطحابه إلى الموقع، أما هي فقالت إنها ستكون هناك في الموقع باكرًا لعمل بعض التجهيزات.

مرت الساعات وكأنها أيام وهو ينتظر في الشقة أن يدق بابه حتى أنه خرج عدة مرات ونزل إلى الشارع مترقبًا وصولهم، وصعد ثانية حتى دقت الساعة الثامنة مساءً.

دق الباب فانتفض وجرى مسرعًا ليفتح ويجد الرجل الذي كان مع سمرة ولا يعلم من هو يطلب منه النزول، في الأسفل كانت سيارة ربع نقل بيضاء مُحملة بكراتين تنتظر أمام باب البيت ليدخل بجانب السائق؛ ثم جلس الرجل الغامض بجانبه وبدأت السيارة بالتحرك..

بمجرد خروج السيارة إلى عين شمس والزحام أحس بألمٍ حارقٍ في فخذه لينظر متعجبًا ويجد الرجل بجانبه يرفع يده وفيها محقن يبدو أنه منوم أو سم لا

يعلم، حاول أن يصرخ أو يدفعه ولكن تثاقلت رأسه فجأة؛ لتسقط معلنةً دخوله في عالم الأحلام.

لم يفق إلا في ما يبدو أنه قبو به رائحة عطن، كان نائمًا على خيشة ممزقة رطبة وأمامه حفرة ضخمة وأسلاك كهرباء في نهايتها مصابيح تضيء المكان ومعاول حديدية والعديد من الأدوات، عملٌ يتم في صمت، عمال ينزلون الحفرة ثم يخرج غيرهم وفي يدهم «قفة» محملة بالتراب وبقايا الطوب والأحجار الرمادية؛ ثم يخرجون عبر سلالم تؤدي إلى الأعلى ويعودون بعد ثوانٍ و«القفة» فارغة ليخرج غيرهم..

بحث حوله عن سمرة فلم يجدها، شاهده العمال وهو مستيقظ وفاتح عينيه بتعجب فلم يعلقوا، كان عددهم ٥ وبينهم كامل وفي الأعلى صوت سمرة تتحدث مع شخصٍ ما عبر الهاتف..

فكّر، هل يصعد فيجد مشكلة أخرى أمامه أو تعتقد أنه يتجسس عليها؟ لم يفكر سريعًا لأنها بعد دقائق نزلت السلالم لتقف أمامه بعباءتها السمراء وترحب به ببرود وقسوة مفتعلة رغم أن عينيها تبدو عليهما سعادة اللقاء..

سألها عما يجري، فطلبت منه الانتظار لدقائق، طلبت من العمال أن يثبتوا الأوتاد جيدًا والنفق

الخشبي حتى لا ينهار عليهم، فهي لا تريد «تهمة».

ابتسم رغمًا عنه متجاهلًا تعبير وجهه وهي تشيح بوجهها وتمنع نفسها عن الابتسام هي الأخرى.

نهض بتثاقل من تأثير حقنة المخدر ليصعد معها إلى الأعلى لتكشف له المزيد عن هذه المهمة، بحث عن سجائره ليخرج واحدة ويشعلها وهو يجلس على كرسي بلاسيتيكي أخضر قديم إحدى قدميه مكسورة بينما جلست هي على منضدة خشبية قصيرة تتوسط المكان، يبدو أنها شقة دور أرضي ولكنه لا يعلم بعد أية تفاصيل أخرى.

قالت بجدية:

- في البداية لا تعتقد أن وجودك يعني أني أثق بك لأنني حذرتك ولو دخل علينا رجل شرطة سأقتلك وسأكون سعيدةً بذلك.

ابتسم ردًا على كلماتها:

- أقسمت لك إنني لا أتعامل مع الشرطة في هذه الأمور، ولكن لو كانت روحي ستزهق على يديك فلا أمانع.

نظرت له لثوان تفكر في قول شيء ما، لكنها هزت رأسها وكأنها تطرد أفكارًا من رأسها ولم ترد.

- أعلم إنني أخطأت ولكني لم أعرفك، أعلم أن الظروف غير مناسبة ولكني لا يهمني الحفر أو الكنوز أو التحقيق الذي أعمل عليه، بل سعيد إنني برفقتك فقط.

نظرت سمرة إلى الأرض لتقول:

- لا أعلم كيف سمحت لك بالمجيء!

نهض واقترب منها: بل تعرفيني أو على الأقل تعرفين، روحي المكشوفة أمامك دون حجاب.

نزلت من المنضدة وعادت الجدية ترتسم على وجهها الجميل: دعنا من كل هذا، المهم، هل تعرف هذا المكان؟

قال سريعًا: لا

ردت: حسن، نحن في القطامية، منزل ملاصق للجبل، هذا المنزل به آثار.

- كيف عرفت؟
- لدي طريقتي ولكن واثقة تمامًا فيها.
- هل أنت منهم؟
- من؟
- هؤلاء الذين يرون الآثار ويعلمون مكانها؟

ضحكت بصوتٍ عال وهي تجلس على المنضدة ثانية، وتضع قدمًا على الأخرى:

- يبدو أنك تفكر كثيرًا في مسلسل «طايع»، لا ليس كذلك، لكن دعني أقول إن لدي إرث قديم لا فكاك منه قادني إلى هذا المكان، إرث من أجداد أجداد أجدادي.
- لكنك فتاة؟
- اعتبرني رجلًا، ولهذا اسمي سمرة.
- لا، فتاة، وجميلة كذلك.

صمتت وبدا الخجل على صوتها وهي ترد:

- فتاة جسمانيًا نعم، ولكن منذ أن أتيت إلى العالم ويعاملني أبي أنني رجل حتى سمّاني سمرة، عملت وتعلمت وأصبحت رجلًا دون إرادتي، قاسية القلب واليد، أطرد ملامح الأنوثة وأحطم المرآة كي لا أتعرف على نفسي حتى تعودت على ذلك.

أراد أمجد أن يضمها إلى صدره، ولكنه لم يقدر، ولكن قال بنبرة متفهمة: أنت فتاة جميلة وعلى قدر الثقة ولكن في يدك الفكاك من هذا الإرث الذي تتحدثين عنه ببساطة.

ردت بسخرة: ببساطة؟!

- نعم، اخرجي من العالم المرسوم لك وأصنعي عالمك الخاص.

- هناك أشياء في هذا العالم لا تعرفها يا هذا.
- لا تقولي لي يا هذا اسمي أمجد.

ضحكت وهي تقول: آسفة، بحكم التعود فقط يا أمجد.

وزادت ساخرة: هل أنت سعيد هكذا؟

رد ضاحكًا: نعم للغاية، نطق اسمي منك يجعله اسمًا جديدًا على مسامعي.

لم ترد خجلًا ولكنها عادت للحديث عن المكان وقالت:

- سأقول لك كل شيء، فأنت معي في الأمر الآن ولا أريد الكذب عليك، مررت أمام هذا المكان عندما تم خطفك وتكبيلك، هل تتذكر؟ حينها، وأثناء العودة سلك كامل هذا الطريق بالصدفة وحينها توهج خاتمي حتى كاد أن يحرق أصبعي،

وخلعت خاتمها بالفعل ليرى أسفله خطًا أبيضًا يبدو كأثر حرقٍ حديث.

تابعت وسط نظرات أمجد التي تدعوها للاستكمال: هي المرة الأولى التي يحدث فيها هذا معي، هذا الخاتم إرث للعائلة يتوارثه المنقبون وانتهى عندي بعد وفاة أبي، يقال إنه دليل يقود إلى الهدف

الذي عاشت لأجله عائلتي منذ مئات السنين كما أنه يعطيني القوة لحماية نفسي ومن معي من قوى الظلام.

تعجب أمجد بعض الشيء وهو يسألها عما تقصده بـ «قوى الظلام»، لتشيح بيدها وتقول إنه سيفهم كل شيء مع الوقت.

عاد وسألها:

- هل تبحثين طوال حياتك عن هذا؟
- نعم، هذا هو الإرث الحقيقي لعائلتي ولم ينجح أحد في التوصل إليه رغم ترحالهم جميعًا في جميع أنحاء مصر.
- وهل ستنجحين أنت فيما فشلوا فيه؟
- لو كنت تقصد إنني امرأة فأنت مخطئ، فلدي خبرة لا تتخيلها في هذه الأمور كما أنها فرصة جيدة لك لأنك ستشهد عملية لم ترَ مثلها في حياتك.
- لكن أنت تقولين قوى ظلام!
- نعم
- وكيف ستقضين عليهم؟

ابتسمت وقالت: اطمئن لدي طرقي الخاصة.

صمتت بعدها وسكت أمجد احترامًا لها؛ لتطلب منه النزول معها إلى القبو ومتابعة العمل فرحب وسط نظرات جمعت بين الفضول والحب والترقب لما هو قادم.

في الداخل استمر العمال في الحفر وإخراج الأتربة والصخور، حتى صرخ أحدهم بأن هناك شيء ما اصطدم به المجراف.

تحرك أمجد وطلب منها النزول أولًا حتى لا يكون هناك خطورة عليها في الأسفل؛ فرفضت ونزلت معه، الحفرة كانت عميقة تتعدى الخمسة أمتار؛ ثم تتجه إلى الجبل وهناك صخرة كبيرة في نهايتها، وفي الأسفل هناك حجر أسود اللون عليه نقوش وشكله غريب ظاهرة أطرافه فقط.

خرجا بعد أن شاهدا الصخرة وطلبت منهم الحفر حولها بحرص بالغ حتى لا تسقط الصخرة الضخمة فوقهم أو ينهار النفق، فطلب منها العمال مهلة لساعات حتى لا يحدث خطأ، فوافقت على مضض.

مضى الوقت سريعًا واقتربت الساعة من الخامسة فجرًا وأمجد وسمرة يجلسان في الأعلى في انتظار بشرى من العمال، ليقرر أمجد النزول فضولًا إلى

الأسفل والتقاط بعض الصور؛ فوافقت سمرة بابتسامة متفهمة وهي تعبث في خاتمها الذي ورثته.

نادرًا ما كان أمجد يشعر بالإثارة في عمله، وهذه المرة مشاعره مختلطة فهو عاشق حتى النخاع، وأيضًا يعمل على تحقيق صحفي لأول مرة سيضعه في موضع مختلف بهذا المجال، نزل إلى الأسفل فلم يجد العمال!

نادى عبر النفق فلم يرد عليه أحد!

إنهم ٥ عمال وبينهم ذلك الرجل الذي علم أن اسمه كامل وأتى مع سمرة خلال نقله من الشقة الأولى للثانية، من المستحيل أن يكونوا جميعًا داخل النفق في آن واحد فأين هم؟!

صعد سريعًا ونادى سمرة التي نزلت معه متعجبة وهي تُخرج مسدسًا صغيرًا من حقيبتها، نظر له أمجد بخوف ولكنها طمأنته إنه للحماية فقط، وقررت النزول فمنعها رغمًا عنها وطلب منها النزول وحده هذه المرة؛ لأن الوضع غير مطمئن فوافقت وفي عينيها نظرة حب وتقدير، ولم تنسَ أن تطلب منه الحفاظ على نفسه وأعطت له المسدس، فرفض وهز رأسه مطمئنًا إياها ونزل.

النفق هذه المرة حارٌ وكأن من أسفله آتون ملتهب!

استمر في الزحف حتى وصل إلى مكان الصخرة التي كانت أعلى الحجر فوجدها مفتتة، لقد نجح العمال وصنعوا بابًا يقود إلى ما خلف الحجر الأسود، ولكن إلى أين؟!

قرب وجهه من الفتحة ونادى فلم يرد عليه أحد، ولكن هناك نفحة ساخنة تخرج من آن إلى آخر عبرها وكادت أن تُلهب وجهه، يمكنه الدخول والمرور خلال الفتحة ولكنه لن يجازف بهذا؛ لأن هناك ٥ عمال اختفوا بالتأكيد عبرها ولو كانت آمنة لخرجوا، كما أن الظلام حالك خلفها ولا يرى أي شيء، قرر العودة إلى سمرة ولكنه سمع صوتًا قادمًا من خلف الصخرة، صوت آنين يتصاعد وكأن هناك أناس يعذبون!

نادى ثانيةً بخوفٍ ولكن لا رد، ألقى قطعة من الصخر من داخل النفق عبر الفتحة فسمع صدى صوت سقوطها بعد ثوان، يوجد مكان واسع خلفها ويقود إلى الأسفل ولا يوجد فيه أتربة أو رمال بل شيء صلب سقطت عليه الصخرة الصغيرة وسببت دويًا!

صعد مسرعًا إلى سمرة التي كانت تنتظر بترقب ليُخبرها بما جرى وسط نظارتها المرتعبة، لتطلب منه الابتعاد عن الحفرة قليلًا، وتصعد سريعًا إلى الأعلى وتُحضر حقيبة سفر صغيرة سوداء لم ينتبه لها من

قبل، ولكنه تعجب عندما وجدها بكلمة سر يتم إدخالها لفتحها وهو ما فعلته سمرة ليجد داخلها قارورات غريبة الشكل وأوراق قديمة تشبه البردي وخاتم مطابق للذي في يدها!

سألها عن الخاتم، فقالت إنه الأصلي ولم تستطع ارتداءه منذ أن اقتربت من المنزل ولكنها ترتدي نسخة مطابقة له في يدها لطمأنتها وبحكم التعود ليس أكثر، حاول الاستفسار منها عن القارورات غريبة الشكل في الحقيبة، فأشارت له بالصمت وهي تُخرج بعضهم بعناية بالغة وتفتح قارورة بها مادة خضراء اللون وتسكب بعضًا منها بحرص على ورقة من البردي كانت معها في الحقيبة؛ ثم تقربها من الحفر وهي تتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة.

تراجع إلى الخلف مذهولًا وهو يرى لون البردية يتغير من الأخضر إلى الأحمر القاني؛ ثم تنكمش بشكلٍ غريب كأن أحدًا ما يعتصرها لتلقيها سمرة أرضًا وتتراجع إلى الخلف حيث باقي القارورات!

سأل بصوت خافتٍ عما يحدث، فلم ترد بل استكملت تمتمتها وبدأت ترفع صوتها شيئًا فشيئًا؛ ثم ألقت ورقة بردي أخرى أحضرتها من الحقيبة في الحفرة واتجهت إلى قارورة أخرى سريعًا فوهتها

سوداء اللون ولكن حولها «خيش» لا يكشف ما بداخلها؛ ثم فتحتها ورددت كلمات أخرى لم يتبينها أيضًا ولكنها بحروف غريبة مقبضة ليسمع أصوات خطوات حوله!

تلفت في خوفٍ واضحٍ بينما سمرة تستكمل ما تفعله؛ وكأنها لا تشعر أو تسمع ما يحدث، فكر في الهرب ولكنه لن يتركها وحدها، كما أنه لا يعلم ماذا تفعل، لا يعلم من أين تأتي الخطوات التي تحولت إلى ما يشبه الركض حولهما وكأنه يقف في استاد وحوله المشجعون يقفزون، الرمال حولها تهتز، هو لا يتخيل! هنا بدأ يفقد السيطرة على نفسه ليتجه إلى سمرة ويمسك كتفها من الخلف ليجدها باردة كالثلج ليدور نحوها فيواجهها ليجد عينيها بيضاء تمامًا!

أراد الصراخ، ولكنه تمالك نفسه ونظر إلى الأرض بسرعة كي لا يشاهدها هكذا، هو خائف منها لأول مرة منذ أن شاهدها، لا يدري ما الذي يحدث ولكنه حاول أن يسألها بصوت مختنق عما يجرى؛ لكنها لم تُجب، بل وضعت القارورة السوداء على الأرض ونظرت له، ولكن هذه المرة بعينيها الطبيعيتين لتقول له: إن الوضع آمن الآن.

سأل بتعجب وخوف لم يخفه: أي وضع؟ ما الذي كنت تفعلينه؟

فركت يديها وهي تنظر إلى الحفرة: هناك الكثير مما لا تعلمه عني يا أمجد، ولكن مبدئيًا اطمئن لا يمكن لأي شر أن يخرج من الحفرة وحولنا من يحمينا، ولكن علي أنا النزول، لتتجه بالفعل إلى الحفرة استعدادًا للنزول.

أوقفها بحسم وقال بغضب: حولنا من يحمينا؟! تقولين لي هذه الجملة؛ ثم تتركينني وحدي! وهل أنت مجنونة حتى تنزلين في هذا المكان؟ أنت لا تعلمين ما قد يحدث لك في الأسفل!

ردت بهدوء واستسلام: مهما حدث إنه قدري!

زاد في غضبه وهو يقول: سنعود ثانية إلى هذا الهراء؟ أي قدر يا سمرة، دعي عنك هذا الوهم ودعينا نرحل من هنا الآن، أعلم أن الوضع غير منطقي تمامًا سواء بقبولي أن أكون معك أو ما أراه الآن أو حتى حبي لك الذي لا أعلم كيف ومتى ولكن يمكننا التوقف حيث هذه النقطة..؟ أمامنا فرصة.

نظرت له بحزن وقالت: لا يمكن، إنه قدر مرسوم ومستقبل معلوم لا فكاك منه.

هز رأسه بتعجب: حسنًا، يبدو إنك مصرة وأنا بالتأكيد لن أتركك وأرحل، ثم أشار إلى القارورات وسألها عنها لتقول وقد بدأت تستعيد جديتها ثانية: القارورة الخضراء إن تغير لونها مع البردي المتلو عليه بعض التعاويذ؛ فيعني هذا أن هناك خطرًا كبيرًا وهو ما حدث، شر قادر على مواجهة قواي كاملة.

- ماذا عن السوداء؟
- استدعاء
- لا أفهم!
- حدثتك من قبل عن إرثي ولكني لم أكن صريحة معك بشكل كامل.
- ماذا تعنين؟!
- لم أكذب عندما قلت إن عائلتي تبحث عن الآثار وتنقب عنها، ولكن ليس الآثار التي تعتقدها، بل آثارهم، آثار الأقدمين الذين كادوا أن يحكموا الأرض، وحذرنا منهم الأجداد منذ آلاف السنين، الذين تشربت قبورهم بدماء الأبرياء طوال هذه السنوات حتى اقترب خروجهم، كيانات الظلام الأربعة وقائدهم الجيساس، قائدهم المحبوس، ولدى الكيانات

فقط القدرة على تحريره لأنهم الأقوى على الأرض الآن.

لم يستوعب أمجد أي كلمة مما تقال لتعكس نظراته كلماتٍ لو قالها لخسرها إلى الأبد لا تعني سوى الجنون المطلق ولكنه لم يصارحها بل سأل: الأرض التي نعيش فيها وتحريره من أين؟

أجابت: تحريره من سجنه، الهرم الذي نطلق عليه نحن «قدس الأقداس»، وثق بي إن خرج الجيساس لن تعود الأرض كما كانت.

أشار أمجد إلى الحفرة ليسألها: من هذا الجيساس؟!

هزت رأسها نافية وقالت: هو كيان خرج عن رحمة الله، وتحالف مع الشيطان ضد البشر، لا يعيش هنا، ولكن في هذا المكان الكيان الأخير الذي يجب قتله حتى لا يعود أو يتم تحريره.

لا يدري لماذا تذكر الحلم! مستحيل أن يكون كل ذلك صدفة، الوجه البشع وسمرة المطلوب قتلها، هناك شيء غير مفهوم وغير واضح، لماذا هو؟!

- لماذا أنا؟ألقى السؤال عليها لتتعجب، تابع: لماذا خاطرت بنزولي معك، وكشف كل ذلك لي، هو إرثك كما تقولين، لماذا أنزل معك؟!

لم ترد!

تنهد بغضب وهو يشير لها بيده لتكمل، ردت: منذ المعركة الأخيرة مع الجيساس كان مصابًا وجريحًا وكاد أن يموت، ولكن تم حبسه في الهرم في غرفة سرية لا يصل لها أحد وهربت بعض الكيانات ولآلاف السنين ظننا أن الوضع انتهى ولكن بدأت الرؤى تنهال على أجدادي بعد أن تناسوا أمره ليعلموا أنه لم ينته بعد،

أعادوا طقوسهم وتدريبات الحماية والبحث والتنقيب وقراءة السحر والمعرفة وذهبوا إلى كل مكان تقريبًا للوصول إلى هذه الكيانات الهاربة والسر كان في الخاتم الذي ورثناه ويكشف عن وجود كيانات الشر،

عثروا بالفعل على أماكن ٣ كيانات ووقعت مواجهات كبرى وكادت الأمور أن تخرج عن السيطرة ويضيع فيها أبرياء، ولكن نجح أجدادي في قتل أول كيانين منهم، أما الثالث والأخير فالذي تم العثور عليه كان في مقبرة بالنوبة قبل ٢٥ عامًا وعثر عليه جدي وحاصر المقبرة مع العائلة ودخلوا ولكنهم وجدوه ميتًا، يبدو أن الكيان الرابع وهو أقواهم تخلص منه لسببٍ مجهول؛ ثم هرب!

كنت حينها في الرابعة من العمر، وبعد الكيان الثالث وفي اليوم التالي قُتلت عائلتي كلها بما فيهم أمي، أما أبي فهرب بي من القرية بسرعة وهي تشتعل أمامنا والجميع قتلى وأتى بي إلى القاهرة، وكان حريصًا على إخفاء أي آثر لنا، وكنت أراه يرسم أشياء على الحائط والجدران ويتلو كلمات غريبة عندما يأكل أو يشرب، ولم نخرج من المنزل إلا نادرًا، وفي ٥ سنوات فقط كان قد كتب كل ما أحتاجه من علم ومعرفة وتعاويذ لمواجهة الكيان الأخير ومعرفة مكان الجيساس، بالطبع لم أذهب إلى مدرسة لأتعلم ولكن كان والدي حريصًا أن أجيد القراءة والكتابة، وعلمني السحر لأتشرب منه المعرفة.

علمت حينها إننا من نسل أحد أقوى الكهنة المرتلين وكانت تدعى تي، ولكن لم أعرف المزيد عن الحرب التي وقعت، وكيف انتصروا على الجيساس أو باقي الكيانات التابعة له، وفي يوم ما نزلت لشراء بعض الاحتياجات وقد بدأ الاطمئنان يدب في قلبي وعدت؛ لأجد أبي ممزقًا في المنزل وسط حريق قيل إنه اندلع فجأة، وأقسم الجيران أنهم سمعوا أبي يصرخ بكلمات غامضة، ففهمت وهربت ولم أعد من حينها، واخترت أن أعمل في الآثار، ولكن بحرص شديد، فلم

أستخرج مرة آثارًا من الأرض وأبيعها، وإن فعلت أبلغ الشرطة في اليوم التالي ليتم القبض عليهم.

سألها عن الكهنة المرتلين الذين تحدثَت عنهم، فقالت إنهم نخبة من كهنة مصر القديمة الذين تعلموا السحر الأبيض للدفاع عن الأرض، قادتهم تي وهي من نسلها في الحرب ضد الجيساس.

شعر أمجد إن عقله بدأ يذوب مما يسمعه، هل يصدقها فيعلم أن العالم على شفا جرف هار وكيان واحد كفيل بتدميره تمامًا؛ أم يضع الاحتمال الأسهل الذي يقول إن سمرة جنَّت؟!

لم تدع له سمرة فرصة للتفكير، حيث أغمضت عينيها ليجد أن الأضواء أطفئت تمامًا في المكان، ولكن بدأ كفها ينبعث منه ضوءًا أبيض خفيفًا انعكس على وجهه وهي تبتسم له، وهنا لم يعد هناك مجال لأية أعذار منطقية، هو في وضع لم يخيله في حياته!

عادت الأضواء وأمجد ما زال واقفًا بذهول ينظر لها، ولكن كان هناك سؤال يشغل باله ترجمه على الفور ليطلقه لسانه: هل كنت تعلمين إنني كاذبٌ عندما جئتك أول مرة؟

ردت بابتسامة خفيفة: لا، حتى أنني تعجبت عندما علمت أنك كاذب.

تعجب من إجابتها ليسأل: لماذا، ولماذا هددتيني وتم خطفي في المخزن؛ ثم أطلقت سراحي، هل تحبيب الدراما مثلًا؟!

لم تضحك على مزحته، بل ردت بجدية: لأنه قدر، لو لم يحدث كل هذا سواء ما فعلته أنت أو أنا لما كنا هنا في هذا المكان وبهذه اللحظة.

- وهل كنت تعلمين أن كل هذا سيحدث؟

أجابت بثقة: لا، رؤية الغيب لا يقدر عليها إلا الله، ولكن هناك رؤى قد تعطيني لمحات وعلمت من خلالها أنك قدري من قبل أن تأتي، لذا تصرفت في تسلسل طبيعي لأي شخص في مكاني.

- أي أنك كنت تعلمين إنني سأكون معك؟!
- نعم ولا أعلم السبب، أتيت لي عدة مرات في الحلم قبل ٣ أيام، وكان هناك صوتًا يتردد في عقلي أنك المختار!

تمتم بتعجب: المختار!

- لا أعلم سبب التسمية ولكن بالتأكيد المطلوب مني أن أجعلك معي، وعندما قادني الخاتم إلى هذا المكان علمت إن الأمر ليس صدفة بل رسالة واضحة.

سأل في عقله: رسالة واضحة لمن؟! لماذا حلمت به وهو حلم أنه يجب عليه قتلها؟!

قاطعت أفكاره وهي تتحرك وتستعد للنزول إلى الحفرة: قلت لك إنك قدري مهما فعلت أو حدث.

ثم ضحكت وهو تختفي في الحفرة بالفعل ويلحق بها أمجد وقلبه يخفق حبًا وترقبًا للمجهول وفي ذهنه آلاف التساؤلات.

نزلا لثوان لتشاهد النفق والمكان وهي تتمتم ببعض الكلمات حتى وصلت إلى الصخرة لتمسك برأسها بشدة وكأنها تعاني من صداعٍ بالغ، ثم صرخت صرخة مكتومة والتفتت إلى أمجد خلفها، وطلبت منه الصعود ثانية.

في الأعلى جهزت سلكًا معدنيًا ببكرة ضخمة للنزول خلف الصخرة وتأمين أنفسهم به وكشاف يدوي ضخم، ثم ارتدت الخاتم الفرعوني في إصبعها رغم الألم البادي على وجهها، سألها أمجد عن الصداع، فابتسمت بألم غير واضح وقالت: لا يهم الآن، لا تقلق.

حاول أن يدفعها للكلام ولكنها تمنعت وطلبت منه الانتظار حتى تنتهي من الأمر في الأسفل وتصعد له، فأقسم عليها أن ينزل معها ولن يتركها، فتحججت بأن الحبل لن يكفيهما ولكنه أصر على النزول معها، فلم

تجد بدًا من أن تسمح له بالنزول معها ولكنها صممت على إعطائه المسدس لحماية نفسه وطلبت منه إطلاق النار، وألا يثق في أحد عندما ينزلان إلى الأسفل حتى فيها، فوافق رغم نظراته المتعجبة من حديثها.

- الجو بارد..

قالت سمرة هذه الجملة وجسدها يبدأ في الارتعاش بالفعل، مما جعل أمجد يتعجب وهو يقول: كيف؟! إنه حار وكأننا في صحراء أسفل أشعة الشمس الحارقة مباشرة!

لم ترد وهي تستمر في الزحف داخل النفق للوصول إلى المكان المراد ومن خلفها يزحف أمجد وهو يحاول جاهدًا ملء صدره بالهواء، وقد بدأت حرارة المكان تخنقه.

استمرا لدقائق في الزحف حتى توقفت سمرة، ونظرت إليه وقالت بنبرة متعجبة: هل كان النفق بهذا العمق من قبل؟

أجابها أمجد وهو يريد الوصول سريعًا قبل أن يفقد السيطرة على أعصابه: لا أدري، ولكن أعتقد لا!

أكملت سمرة الزحف وبعد دقائق وصلا أخيرًا إلى المكان، وبدأ خاتمها في التوهج بشدة وكأنه يشتعل أو يبعث لهما رسالة بالعودة، لا تعلم ولكن مظهره هذا تراه

لأول مرة منذ أن شبت في الحياة، لتبدأ الطرق ببطء على الصخرة السوداء التي تسد أسفل المكان ويفترض عليهما المرور من فوقها والنزول إلى المجهول.

طلبت منه أن يتراجع إلى الخلف قليلًا؛ لأن المكان ضيق ولا يسمح لما تنوي فعله لينفذ سريعًا، وقد بدأت الرمال أسفله تخمش جسده وذراعيه بسبب الزحف، لتلف جسدها ويصبح وجهها إلى الأعلى؛ ثم تكشف عن بطنها ليجد حبلًا أسود اللون ملفوفًا حول وسطها، فكت ربطة صغيرة منها، ثم رفعت ظهرها وقوسته عن الأرض لتبدأ سحبه سريعًا، طوله يتعدى ١٠ أمتار تقريبًا وفي نهايته خطاف معدني كانت تربطه في حزام بنطالها.

اعتدلت ثانية وواجهت الصخرة؛ ثم علقت الخطاف أسفلها في نتوء بارز وسط نظرات أمجد المتعجبة التي ترجمها إلى تساؤل: هل سيتحملنا هذا الحبل والخطاف المعلق في صخرة قد تكون هشة!

قالت بثقة وهي تتأكد من متانة الحبل وتشده جيدًا: لا تقلق إنها صخرة جرانيت، والأهم أننا كما قلت لك سابقًا آمنون بشكل كافٍ بسبب من معي.

زحفت بسرعة حتى صعدت أعلى الصخرة وطلبت منه إعطاءها الكشاف الصغير الذي يحمله لتوجهه إلى

ما خلف الصخرة.

- الظلام حالك
- بمعنى؟
- لا أرى قرارًا للمكان ولا أعلم العمق أو ما خلف الصخرة!
- حتى مع الكشاف.
- نعم!
- نعود ونفكر في وسيلة أخرى؟
- القطار الذي يتحرك لا يعود.
- كفى «فزلكة».

ضحكت، فدق قلبه، وردت: لن نتراجع يا أمجد.

- حسن، استخدمي سحرك على الأقل لبيان ما خلف الصخرة، أضيئي يدك أو تحولي إلى خفاش أو أي شيء.

ضحكت ثانية وهي تقول: لا أريد إخافتك ولكن المكان غريب ولا يسمح لي باستخدام أي سحر نهائيًا فيما عدى حراستي لأنهم غير مرئيين وليسوا بشرًا.

- كفى كلامًا، لنفعلها.

بدأت سمرة بالفعل في الاعتدال فوق الصخرة لتواجه بوجهها أمجد الراقد أمامها وتمسك الحبل جيدًا وتبدأ في النزول حتى اختفى وجهها.

نادى عليها فلم تجب!

نادى ثانية، لا صوت يرد عليه!

بدأ قلبه ينتفض ثانية بعنف، ما الذي جرى لها؟!

زحف بسرعة خلفها؛ ثم أمسك الحبل وبدأ في النزول، الظلام حالك للغاية وكأنه يبتلع الضوء تمامًا، لا يرى أي شيء، ينزل فقط ولا يوجد حتى هواء يضربه أو أصوات قادمة من أي مكان، خاف أن ينادي، شُل لسانه وعقله، ينزل فقط وينزل حتى تعبت يداه، الحبل لم يكن طويلًا إلى هذه الدرجة.

هل يصعد؟ فكر في هذا ولكن كما قالت سمرة القطار لا يعود لو تحرك، وهو لن يتركها في جميع الأحوال، لعن نفسه والموقف الذي أدخل نفسه فيه، لعن الظلام حوله والشياطين والخوف الذي يتسرب إلى روحه ويكاد أن يحتل أنفاسه ذاتها.

يريد الصراخ، لا يقدر! البكاء ربما يريحه وهو مستمر في النزول، لا يقدر أيضًا، الرجل لا يبكي، وسمرة بحاجة إليه ولكن ينتهي الموقف فقط وهو قادر على مواجهة الجحيم ذاته لأجلها، متى يصل؟!

فجأة وجد نفسه بدون حبل، يقف في المكان وحيدًا، نادى على سمرة فلم تجب، تلفت حوله، الظلام فقط يحيط به ولا شيء سواه، هل مات؟!

من قال إن الموت أسود، بالتأكيد لم تزهق روحه بعد!

طرق بقدمه على الأرض عله يسمع أي شيء فلم يسمع لها صوتًا، الأرض لا تصدر صوتًا، كيف؟! علميًا يجب أن يسمع أي صوت ولو مكتوم لو كانت الأرض رملية حتى!

أغشاه ضوء انبعث فجأة من أمامه، صرخ وأغلق عينيه بسرعة؛ ثم فتحهما ثانية، المكان تغير!

المعرفة

يقف في معبد فرعوني!

هل يحلم؟ هو لم ينم بالأساس! أين هو إذن؟!

تفقد المكان حوله في لحظات، فرعوني من طراز لم يره من قبل، هناك صوت يتعالى من خلف أحد الأعمدة المطعمة بالذهب والمنقوشة بأشكال لكائنات غريبة، صوت أنين وكأن شخص يتوجع.

هل يذهب ليرى؟ فعلها بشكل لا إرادي وذهب وهو ما زال يتلفت حوله مبهورًا، متعجبًا، في رأسه ألف علامة استفهام، ليجد رجلًا أصلع الرأس يمسك جانبه الأيمن وهناك دم يسيل من جرح غائر وخنجر معقوف برأس سوداء مغروس في ضلعه، توقف مصدومًا أمامه! هو نفس الخنجر تقريبًا الذي كان في يده حين حلم للمرة الثانية!

نظر إلى الرجل، يفكر في مساعدته ولكن لا يدري كيف، هل يسحب الخنجر أم يتلو عليه الشهادة، يا لحماقته هو ليس مسلمًا بالأساس، استقر على سحب الخنجر ودفع يده لسد الجرح إن نفع الأمر.

يبدو أن الرجل لا يشاهده بالأساس، ولكنه لم يبال، بل مد يده لسحب الخنجر ولكنه تراجع مصعوقًا، مرت يده من الخنجر ونفذت إلى جسد الرجل القابع أمامه وكأنه طيف بلا مادية!

هل أصبح شبحًا أم أن الرجل هو الشبح، يقف على حافة الجنون الآن!

سمع صوتًا في رأسه يقول: أردت المعرفة، ها هي أمامك، لا يمكنك التدخل بل المشاهدة فقط.

رد أمجد بصوت عالٍ وهو يخبط على رأسه: من أنت؟!

سمع الجواب ضحكةً ساخرة فقط، وانتهى الأمر!

هناك أحد ما في رأسه!

عليه التفكير فقط ببطء ليفهم ما يحدث، نزل إلى الحفرة؛ ثم اختفى كل شيء وجاء إلى هنا، هو في رحلةٍ للمعرفة، ولكن أية معرفة؟!

هو لا ناقة له ولا جمل في هذا الأمر، بل صحفي يريد عمل تحقيقٍ ووقع في حب سمرة فقط، لا يكترث لأي شيء آخر!

وكأن الصوت في عقله سمع ما يفكر فيه ليجده يقول: لا تصدق أوهام عقلك، أنت أساس كل شيء!

أنا الأساس، ردد أمجد العبارة وهو يفكر فيها كثيرًا، أساس ماذا؟! وما شأني أنا بهذه القصة؟!

اختفى المشهد في ثوانٍ ليجد الرجل المطعون راقدًا على سريرٍ من خشب الأبنوس وحوله أطباء في ثياب ناصعة البياض يسحقون بعض المقادير والأعشاب ويضعونها على الجرح.

دخل رجل يبدو إنه عسكري إلى الغرفة وقال:

- قتلنا المشعوذ سيدي، اللعين كان يحاول تسميمك وطعنك بخنجر دُفن في جبل الظلام لسنوات.

لكن لم يقل العسكري للرجل المطعون ما قاله المشعوذ قبل أن يموت، لم يقل لسيده إن «نسله هو من سيعيد سيد الظلام ونجحت مهمته»!

اختفى المشهد ثانية ليجد أمجد نفسه في قاعة بالغة الأبهة والعظمة، ستائر من الحرير الأبيض المطعمة بالذهب تتراقص وخلفها ظلال لرجل يضاجع أنثى ويتعالى صوت النشوة ليغطي سكون الليل، إنه نفس الرجل المطعون!

أغمض أمجد عينيه خجلًا من المشهد الذي اختفى بغتة وحل بدلًا منه مشهد آخر، سيدة تلد أنثى وبعدها

بثوان تلد ذكرًا؛ ثم ماتت ووجهها مسود في مشهد مرعب!

بدأ الدوار يصيب أمجد، لا يفهم شيئًا، من هؤلاء؟!

الطفل يكبر، والبنت تتعلم فنون الحرب والقتال، سنوات مرت للحظات أمام عين أمجد.

الإخوة يكنان الحب والتقدير لبعضهما البعض، ولكن الطفل الذي أصبح شابًا الآن لم يعد كذلك، تغلغل في روحه الكره تجاه البشر، يبحث عن شيء ما! يستيقظ صارخًا ولا يدري السبب!

يريد الذهاب إلى الجبل الأسود وكأن هناك نداء يجب عليه تلبيته!

والده لطمه على وجهه، لا يريد أن يسمع سيرة هذا المكان الملعون!

الأخت تضم أخيها في حضنها وتعده أن تذهب معه؛ لينظر لها بتقدير ممزوج بالحب، إنها تحاول إسعاده بأية طريقة ولو على حساب أوامر والدها المسؤول الكبير في البلاد.

طلبت الفتاة من والدها أن تذهب في رحلة صيد مع أخيها لمدة يومين، كذبت ودخلا إلى جبل الظلام، قلبها مقبض وروحها تنتفض خوفًا، تكره هذا المكان،

ولكن فضولها غلبها، تريد معرفة سبب تمسك أخيها بالذهاب إلى الجبل.

الجبل كان مفتوحًا للدخول وكأنه يناديهما، دخلا بالفعل ليجدا كهفًا ضخمًا، افترقا وهي تنظر فضولًا حولها، صدق من قال إنه جبل الظلام، الصخور سوداء في كل مكان، والرائحة الكريهة تتصاعد وتزكم الأنف وتحرق العين، هل تتخيل أنها تسمع صوت صراخ مكتوم يتصاعد فجأة، ثم يحل السكون؟!

أفاقت على صراخ أخيها، جرت بسرعة تجاه صوته لتجده واقعًا في حفرة ضخمة، يبدو أن ساقه كُسرت، كيف ستنقذه؟! لا يوجد معها حبل أو أي شيء يساعد في إخراجه، عليها العودة سريعًا إلى أهلها للمجيء وإنقاذه.

صرخت فيه إنها ستذهب سريعًا إلى الأهل للمجيء وإخراجه، فرد عليها متوسلًا أن تبقى، يخاف الظلام وأن يكون وحده، يعلم إنها مسيرة يومين، كيف سيعيش؟!

ستقتله الأفاعي أو العقارب، ولن يشرب أو يأكل!

خرجت بسرعة وأحضرت قارورة مغلفة بالكتان بها ماء، وبعض الحبوب التي قد تواجه جوعه ليوم واحد؛ ثم قذفتها في الحفرة وهي تعده بالعودة سريعًا.

لا تريد تضييع الوقت، ركضت داخل الكهف للخروج سريعًا؛ فلم تدر بنفسها إلا وهي تتعثر وتسقط أرضًا ويشج رأسها، شاهدت دماءها تسيل أمامها؛ لتبدأ الرؤية في الخفوت شيئًا فشيئًا، حاولت المقاومة ففشلت ولم تجد نفسها إلا فاقدة الوعي.

وقف أمجد مذهولًا وهو لا يدري هل انتهى المشهد أم أن هناك بقية..؟ الشاب يصرخ في الحفرة وشقيقته على الأرض تسيل دماؤها، هل يخيل له أن التربة تتشرب بالدماء بنهم وكأنها تتوق إلى طعمه!

لا يدري، يبدو إن الخرف أصابه!

استيقظت الشابة بعد ساعتين وصوت أخيها توقف بعد أن فقد الأمل في أن يسمعه أحد، لا يعلم ما أصاب أخته التي نهضت وهي تترنح تعبًا وإجهادًا من نزيف الدماء والتوتر، لا يعلم أمجد كيف التئم الجرح ولم تفكر الشابة في ذلك أيضًا...؟ كل ما كانت تفكر فيه أنها لا تريد أن تفقد أخاها، خرجت على مهلٍ وركبت حصانًا أسود اللون يخلب القلوب ونهلت الأرض نهلًا لتسابق الزمن وتستدعي أهلها لإنقاذ الشاب الطائش.

في الداخل، جلس الشاب أرضًا، فهو لا يريد أن يفقد طاقته سريعًا، مرت عليه الساعات، لا أحد يأتي..

مل أمجد من الوضع، يريد الانتهاء أيضًا، ولكن مع إسدال الليل لستائره المظلمة تغير الوضع، هناك ما يبدو كأصوات معارك تتصاعد في المكان، زمجرة غريبة تعلو وتختفي فجأة، ظلال تتحرك في كل اتجاه ثم لا شيء!

لا يرى أي أحد ولكن الصوت يدل على وجود شيء ما، شيء ملعون بالتأكيد!

وقف الشاب في الحفرة مذعورًا، ونظر إلى الأعلى وهو يتلفت، نادى، صرخ، سب، بح صوته، فسعل حتى احمرت عيناه، ركل الصخور الصغيرة بقدمه السليمة، لكنه توقف فجأة وهو يسمع صوت ضحكة ساخرة قادمة من كل مكان حوله!

صرخ: من هناك، فلم يجب أحد.

بحث أمجد عن الصوت فلم يجد أيضًا!

مرت ساعات أخرى على الشاب وقد تلفت أعصابه تمامًا، في ذهن أمجد يقول إن هذا العذاب كفيلٌ بجنون أي شخص، لو كان النازيين يعلمون أن جبل الظلام موجودًا لسجنوا فيه ضحاياهم توفيرًا للنفقات!

بدأ ضوء النهار الهادئ يدخل المكان على استحياء، لا ينير ولكن أعطى ظلالًا واهية للغاية تجعل بالكاد رؤية الأطراف ممكنة مع التدقيق فيها، لم ينم الشاب

وإن تمكن منه التعب والإرهاق، انتهت المياه والحبوب وينتظر الموت الذي يجزم أنه يتربص به الآن في انتظار لحظة استسلام واحدة منه.

الوقت يمر والشاب فقد القدرة على التعقل، يصرخ فجأة، فيصاب أمجد بالذعر وينظر في الحفرة فلا يجد سواه.

فجأة وجد الشاب يتحدث مع أحد!

يعلن موافقته على شيء ما مقابل أن يروي ظمأه، يقسم بروحه أنه يريد الحياة والخروج، بعد أن يكون عبدًا مطيعًا!

أمسك صخرة حادة على الأرض وجرح ذراعه وهو يتألم وأسال الدماء على الأرض، لا يرى أمجد أي شيء، من يُحدث الشاب ولمن يقدم دمه وكأنه عقد أو اتفاق؟!

الشاب يواجه شيئًا ما ويتحدث معه، لا يوجد خيال في الأمر لأنه التقط شيئًا خفيًا بذراعه السليمة وبدأ يتجرع منه، يسمع صوته وهو يبتلع شيئًا مجهولًا، صوت ريقه وكأنه يدوي في المكان ترحيبًا بسائل خفي!

هل يتوهم أمجد أم أن جسد الشاب بدأ يتمدد بعض الشيء، أو ربما سرت فيه طاقة مجهولة، حتى أن

كسر قدمه وكأنه لم يكن!

هناك شيء لعين يحدث ولا يعلم أمجد ما هو!

عينا الشاب يبدو أنهما تضيئان، لا ينعكس عليهما ضوء كما قد يعتقد البعض، بل إنهما تضيء فعلًا كمصدر وكأن داخله نار مستعرة، يقف كوترٍ مشدود في وسط الحفرة، يدور حول نفسه، يردد كلمات غريبة، يسجد أرضًا ثم ينهض ويتحدث مع الكيان الخفي، ثم يجلس أرضًا وهو يتمتم بكلمات مخيفة.

ظل هكذا لساعات، أمجد يراقب مذهولًا والشاب ما زال يتحرك بجنون ويتحدث حتى هبطت ظلال الليل ووصل الأهل إلى المكان، دخلوا سريعًا وهم يتلفتون حولهم وفي يدهم مشاعل من الكتان المغموس في الزيت وأنزلوا حبلًا سحبوا به الشاب وخرجوا سريعًا وعادوا إلى والده الغاضب الذي أقسم أنه سيعاقبه وسيرسله إلى الكهنة المرتلين ولن يعيش معه في القصر.

مشهد جديد به الكهنة المرتلون وهم يعلمون الشاب أساليب السحر والسيطرة على النفس، تدريبات صعبة ولكنها ضرورية لكبح جماح الشاب الذي تغير منذ أن قضى ليلتين تقريبًا في جبل الظلام.

الشابة التي نعلم أنها تي تأتي من آن إلى آخر إلى المعبد للاطمئنان على أخيها بحتي، تلاحظ التغير الواضح في شخصيته ولكنها تعلم إنها تجربة صعبة، حاولت الدفاع عن نفسها أنها تركته لإنقاذه، فكان يهز رأسه ولا يرد، أصبح غامضًا بشدة.

وكذلك هي أصبحت غريبة بعض الشيء، فمنذ متى يمكنها التخاطر مع بعض الحيوانات وتخرج من أناملها نيرانًا لا تحرقها؟! منذ متى يمكنها السير في الظلام، أصبحت تحس بالطاقة تجري في أوصالها كل الوقت، هي مدربة جيدًا على القتال ولكن الغريب أنها تشعر بقوة وكأنها حبيسة في يديها وتنتظر الخروج، خرجت يومًا إلى بستان قريب من القصر وبعيدًا عن أعين العبيد حاولت أن تدفع يديها إلى الأمام وكأنها تقذف الطاقة بعيدًا، خرجت كرة من النار وأحرقت جذع شجرة!

الوضع أصبح مخيفًا بالنسبة لها، طلبت الحديث مع الكاهن الأكبر وشرحت له ما يجري لها ليطلب منها أن تترك له الأمر، طلب من والدها أن يضمها إلى الكهنة المرتلين فرفض، فقرر أن يعلمها سحرهم ولكن في الخفاء.

وقف أمجد هذه المرة في غرفة مظلمة، أمامه سرير ضخم يتذكره، يخص والد تي وبحتي.

يقترب ظلٌ من السرير والرجل ينام ويستغرق في عالم الأحلام ولا يدري ما ينتظره، اقترب أمجد ليرى من هناك، لا أحد!

مجرد ظلٍ فقط!

ظل! لكنه يتحرك بشكلٍ طبيعي مثل من له حياة خاصةً، يمسك في يده خنجرًا ويرفعه ببساطة؛ ثم يهبط بسرعة على الجسد المسجى على السرير ويزهق روحه، إنه ظل قاتل!

اختفى المشهد، تي تبكي والدها المقتول ولا أحد يعلم كيف مات!

لا أثر على جسده، مجرد ملامح ألم بادية على وجهه الجامد، ويدٍ متصلبة على جانبه وكأن ألمًا ما أصابه وقتله!

وجد أمجد نفسه فجأة أمام مخدع بحتي، كان نائمًا ولكن هناك شيء بارز بجانب رأسه، خنجر برأس سوداء، كيف حصل عليه الشاب..؟ لا يعلم ولكن نفس التقوس هذا كان موجودًا في الخنجر الذي قتل به الظل الأب، بل نفس الخنجر الذي طُعن به والده قبل أن يولد هو وشقيقته.

دعا أمجد الله أن تنتهي هذه الرحلة سريعًا، لا يريد المعرفة، بل يريد الاطمئنان على سمرة التي اختفت ولا يعلم أين، ثرى هل تشاهد ما يشاهده الآن أم أنها في مكان آخر؟!

يبدو أن بحتي يحلم بشيء ما، يتمتم وهو نائم في مخدعه، وفجأة يقول بصوتٍ آلي غريب: سأنفذ سيدي.

هذه المرة يتسلل بحتي بخفة في المعبد قبل شروق الشمس مباشرة، وفي يده خنجره ذو المقبض الأسود، يقترب من أحد الكهنة المرتلين؛ ثم يضع يده على فمه ويكتم نفَسَه من الخلف ويدس الخنجر في قلبه، هناك شيء ما يخرج من الجسد المقتول، شيء أشبه بظلٍ رمادي صغير، خرج بسرعة ثم دخل إلى المقبض!

اجتمع كبير الكهنة مع تي الأخت الكبرى، الكبرى لأنها وُلدت قبل أخيها بثوانٍ وبالنسبة للجميع هذه إشارة على مكانتها، كشف لها ما يفعله أخوها، وجدوا جثة كاهنٍ مقتول ولا أحد يعلم كيف، الجميع يتحدث عن أخيها ولكن دون دليل، البعض يسمعه وهو يردد كلمات الشر بشكل لا إرادي، الخوف بدأ يسري في الأوصال ولا يجدون حلًا.

قررت تي التحدث مع شقيقها، واجهته بما يقال عنه، غضب وقال لها إن الحياة تقدر القوة فقط، وهم أقوياء بما يكفي لحكم الأرض والبشر، ولكن عليه أولًا إعادة سيد الظلام، تراجعت تي مذعورة وهي تسمع هذا الاسم لتنفعل عليه، وتطلب منه أن يعود إلى صوابه فرفض وهدد وأعلن العصيان على الكهنة وشقيقته ورحل غير آسف يحمل في داخله الكره للجميع حتى لأخته!

بدأت في تعلم السحر أكثر فأكثر، وانضمت إلى الكهنة المرتلين هذه المرة وما ساعدها في ذلك هو القدرة القوية للغاية التي اكتسبتها عندما نزفت في الجبل، علمت أن هذا المكان كان يحمل شرًا قادرًا على السيطرة تمامًا ومحو أي أثر للبشرية، هناك طاقة نفسية هائلة ما زالت في المكان وربما أكثر من ذلك..

صنعت بعلمها ومعرفتها خاتمًا بفصٍ أزرق اللون يتوهج عندما تقترب منها الشرور مهما كانت، يظل مجرد خاتم فقط مع البشر الطبيعيين، هو بمثابة دليل يقودها لأي شئ غير عادي ليحذرها منه.

أما بحتي ففي مكانه الجديد قرر بدء حياة تناسب مرحلة تهيئة الأرض لمجيء سيد الظلام، هو نفسه لا يعلم من هو؟! ولكن القوة داخله تؤكد له وجوده،

وزيارة الكيان الغامض له في المنام ترسخ أنه على حق.

بدأ يستقطب أتباعه من كل حدب وصوب، يوهمهم بحلم الخلود والحياة بعد الموت والقوة، عرض عليهم السحر الذي يتقنه واستعرض أمامهم القوة لفتنتهم؛ فسقط في شركه المئات، كان يختار من يزهق روحهم بخنجره بعناية لا يعلم سببها، ولكنه ينفذ ما يقول له الكيان الذي يأتيه ليلًا في الأحلام فهو لا يملك إلا الطاعة العمياء.

قدم أرواح العشرات من المختارين، ونفذ حلقات الموت والتضحية لإرضاء سيده المنتظر والتعجيل بخروجه، علم أن عليه أولًا استدعاء كيانٍ ما هو القادر على تحديد مكان سيده لاستدعائه، فبذل كل ما في وسعه وخاض معارك مع الكهنة حتى وصل إليه واستدعاه بالفعل وعلم مكانه، سيده اسمه الجيساس.

هنا فكر أمجد في الاسم، هو نفسه الذي تبحث عنه سمرة!

أتى الكيان الآمر إلى بحتي في المنام آمرًا إياه بالحفاظ على نسله، رغم أن هذه النقطة لا تؤرقه إلا أنه نفذ بالفعل، علم أن هناك سيدة بالفعل اختارها له سيده، لا يعلم سبب اختيارها تحديدًا ولكنه نفذ..

في ليلة مظلمة اختفى فيها القمر ربما خجلًا من الشر الذي بدأ ينتشر في الأرض، دعاها بحتي إلى مخدعه، ونفذ ما أمره بها الكيان، وضع نطفته فيها، بذرة ستنبت يومًا وتزداد حتى تتشعب شجرته ويزيد نسله، نفذ مهمته، ثم طردها بلا رحمة، وهو من داخله يعلم أنها ستحبل منه.

اختفى المشهد تمامًا، أين ذهب بحتي وتي؟!

لا يوجد سوى السيدة التي حبلت، استدارت بطنها، فاقترب الوضع، ثم ولدت رضيعًا جميلًا، كبر وشب، تزوج، حملت زوجته ومات بعد عمر مديد،

أمام عين أمجد المذهولة مرت آلاف الأجيال، تتابع سريعًا ومناطق تفنى وأخرى تُبنى، الأرض تتغير تضاريسها والبراكين تثور؛ ثم تخمد للأبد والفيضانات تضرب اليابسة ثم تنحسر فتنبت بدلًا منها أشجارًا وغاباتٍ ثم تقطع الأشجار وتصبح بيوتًا؛ ثم قرى تتحول إلى مدن، بيوت من طابق واحد فملابس تتغير على جلود الفانيين، شاهد ولادة وموت آلاف المرات، صرخ عقله يريد الخلاص فلم يجده!

تعب من التسارع الزمني الرهيب هذا، أمسك رأسه وطلب الموت، فلم يجد سوى حيوات مستمرة أمامه

تتوالى، نسل بحتي يزيد ويزيد حتى وصل إلى العقارات!

عقارات!

إنه المستقبل حيث جاء!

هناك من يحمل نسل بحتي في هذه الأرض ويعيش معهم!

شاهد صديقه محمد سعيد الضابط في الأمن الوطني نائمًا!

لا يصدق، هل هو.!

اللعنة.

هز رأسه، يريد الاستيقاظ من هذا الكابوس!

يرى صديقه يحلم، يهز رأسه وهو نائم، يتساقط العرق من رأسه، يبدو خائفًا بشدة وشفتاه تهتزان.

ردد وهو نائم بآلية غريبة: سأنفذ!

استيقظ مباشرة وأمسك هاتفه ليحدث شخصًا ما!

تحدث مع شخص اسمه أمجد!

أمجد، هو أمجد!

يقول له عن سمرة، تبيع الآثار، عليه الذهاب والتصوير والوضع آمن، وهو خلفه يحميه، أنهى المكالمة وأرسل له المكان في رسالة!

المنبه بجانبه يشير إلى السادسة صباحًا، نفس الموعد الذي اتصل به! الرسالة التي يتذكر أنها وصلت له على الهاتف بعد مكالمة صديقه!

هل صديقه من نسل بحتي؟!

لا، يرى الآن من يقود سيارته القديمة في الشوارع ذهابًا إلى الجريدة، من كان الوجه الذي كان قبله؟ صديقه؟ لا قبل صديقه، الذي شاهده أمجد قبل أن يضع يده على رأسه وهي تكاد تنفجر؟ نعم! إنه والده!

والد أمجد كان من نسل بحتي الساحر!

وبالتأكيد أمجد من نسل أبيه، أي أنه هو نفسه من نسل بحتي، الصدمة لا تجعله قادرًا على التركيز، هل جُن؟! لا يظن ولكنه صرخ بأقصى ما يستطيع لتخرج هذه المرة صرخته ترج المكان!

وجد نفسه واقفًا في كهفٍ مظلم وأمامه سمرة راقدة على الأرض يبدو أنها نائمة!

خارت قواه؛ فركع على الأرض يلهث، وقف على الخط الفاصل بين الجنون والعقل، بل سقط في هوة سحيقة لا قرار لها، كان على جرف هار؛ ثم سقط فيه بشكل عمودي لتدق رأسه الأرض، هذا التشبيه الأقرب لما حدث له!

هل الرؤى التي شاهدها حقيقية، هو من نسل بحتي؟!

نعم، تردد الصوت في رأسه ليغمض عينيه، نفس الصوت الذي كان يأتيه في المنام، والذي كان يأتي إلى جده بحتي كذلك، لم يكن يريد أن يسمع الإجابة، على الأقل ربح الرهان، فهو من البداية يشعر أن الأمر لا يسير بشكل طبيعي!

ولكن حبه لسمرة كان حقيقيًا للغاية، أم أنه كان وهمًا هو الآخر؟!

كان وهمًا، أجابه الصوت في رأسه ليصرخ فيه: كفى!

- أمرك سيدي.

تعجب أمجد من الرد: سيدك!

- نعم أنت سيدي، بيني وبين من أتيت من نسلهم ميثاق عهد، لا أقدر على إيذائك وأنا طوع أمرك.
- من أنت؟
- القادم من مكان آخر.
- الأرض؟
- لا، مكان لا اسم له، به المنبوذون مثلي، تكوّن من الخطايا ولهذا يطلقون علي كيان الظلام.

- تقصد خطايا البشر.
- خطاياكم ليست هي مصدر قوتي، فأنتم أضعف مما تظنون وشروركم لا تتعدى مقدار حبة من الآخرين.
- أي آخرين؟-مثلما خُلقت الأرض هناك مثلها، هناك أرواح أخرى وكيانات لا تعلم عنها شيئًا، تسبح في الأكوان وتعيش وتتكاثر ولا يحكمها قانون حياتكم الفاني.

ردد أمجد وهو يمسك رأسه ثانية: لا أقدر على تصور كل ذلك، أنا من نسل ملعون!

نهض واقترب من سمرة ليطمئن عليها وهو يقول: ما المطلوب مني الآن؟

- قتلها.

استدار أمجد رافضًا: قتل من، هل أنت مجنون؟

- الجنون ليست صفة من صفاتنا، دورك المرسوم والمقدر هو قتل نسل تي، قتل من يقدر على منع حضور سيدنا الجيساس، الانتقام من الذين حبسوه في سجنه.
- هل كان كل ما يحدث هو طريق للوصول إلى هنا فقط؟!
- كان عليك معرفة حقيقتك،

اقتربت هذه الفتاة من الحقيقة وكان لابد وأن تكون معها وتعلم حقيقتك خاصةً مع اقتراب موعد خروج سيدي الجيساس.

- أين هو؟

- في قدس الأقداس مسجونًا.

رد أمجد: أين هو قدس الأقداس تحديدًا؟!

- ما تطلقون عليه لقب الهرم الأكبر.

اختفى المكان ثانيةً ليجد أمجد نفسه أمام هرم ضخم للغاية، الهرم الأكبر!

يتذكر أنه زاره مرة، هذه المرة ولم يكررها ثانية، حاول الدخول إلى غرفة الدفن وعندما مست قدماه الهرم أحس بجسده وكأنه يشتعل وبقشعريرة تنتابه، من حينها لم يكرر الزيارة، وحمل المكان له ذكريات سيئة!

قال الصوت في عقله: لأن هناك بقايا قوى تعارض دخول من هم مثلك سيدي، يمكنك الدخول ولكن إن تحملت الآلام، فأنت من نسل سيدي بحتي، تحمل داخلك قوى الظلام ودورك أن تحرر سيدي الجيساس من سجنه الأبدي.

رفع أمجد يديه أمام وجهه وهو ينظر لها: أي قوى، لا يوجد لدي أي شيء خارق!

حاول أن يفعل كما شاهد تي تفعل من قبل في البستان؛ ليجد كرة من النار تخرج من يده!

سقط أرضًا غير مستوعب ما حدث وهو يردد: كيف؟!

أجاب الصوت: المعرفة تقود للقوة.

أي معرفة هذه التي تجعله يخرج نارًا من يديه! فهو من صغره جرب هذه اللعبة كثيرًا وحاول تقليد «سبايدر مان» لإخراج شباك العنكبوت من يده وفشل، الآن يطلق كرات من النار!

هز رأسه وقال: لا أستوعب.

- ماذا تقصد سيدي؟
- القوة لا تأتي فجأة!
- لكنها موجودة داخلك سيدي منذ ولدت، بل منذ ولد كل من هو يحمل دماء سيدي بحتي.
- ولماذا لم تخرج من قبل أو نكتشفها صدفة؟
- لأنك لا تعلم بوجودها، هذه القوى تحتاج إلى المعرفة، وأنت حصلت على المعرفة بالذكريات التي صببتها في عقلك.
- هل تقصد أن كل ما شاهدته نقل لي الخبرة، عقلي الآن يحمل خبرة بحتي كاملة؟!
- نعم.

- وقواه؟

- معرفته وليست قواه، السحر وعلوم الباطن ودمه النقي، أما قواه التي اكتسبها في جبل الظلام فهي ليست لأحد سواه.

بهت وجهه وهو يرد: سيان، أقصد أنه يمكنني التحكم في الحيوانات وأعلم التعاويذ الآن وإخراج نار من يدي وما إلى ذلك!

- نعم.

سأل: هل تنفذ أوامري بدون مناقشة؟

- نعم

- حتى لو لم ترد ذلك؟

- بالتأكيد، لا حكم علي سوى بالطاعة.

- إذًا توقف عن قراءة أفكاري.

صمت الكيان ولم يرد؛ ثم قال بعدها بثوان وكأنه كان يفكر: لك هذا.

ها قد تخلص أمجد من المشكلة الأولى، عليه أن يفكر دون أن يتلصص عليه أحد، لديه قوة كبيرة الآن ومعرفة لا مثيل لها، من المفترض أن داخله شر عظيم، هو يشعر به بالفعل، ولكنه أيضًا لا يدري لماذا ليس بالشكل المطلوب..؟ يشعر بالظلام ولكن وكأن هناك نورًا يبدده كلما تكون، ما هذا؟!

كل ما يريد هو إنقاذ سمرة، على سيرتها، هل حبه لها هو الذي يقاوم الشر، الأمر به مثالية زائدة، ولكن لا يمكن تجاهله! فلماذا رأت سمرة أنه مهم بالنسبة لها رغم أنه من نسل بحتي، وهل كانت تعلم؟ لا يعتقد، فلو كانت تعرف ذلك لما وافقت أن يكون معها!

هو يثق فيها الآن بشكل أعمى، كما أنها حلمته به وأنه المختار، هل المختار لتحرير الجيساس أم قتل الكيان؟!

مجرد التفكير في قتل الكيان يجعل جسده يؤلمه ولا يعلم السبب، تحدث عن عهد، فهل هو السبب؟! العهد سيجعله غير قادر على قتل الكيان أو حتى السماح بموته، عليه فقط أن يعلم تفاصيل أخرى ليجد حلًا.

- اظهر أمامي..

ألقى أمجد الأمر ليتشكل كيان الظلام بالفعل، هيئته ليست ثابتة، كتلة سوداء للغاية تتشكل في كل ثانية وكأنها تتموج،

- أريد معرفة ما حدث في معركة الجيساس وتي، كاملةً.

- لك هذا.

دخل أمجد في دوامة فجأة ليشهد كل ما حدث، أحداث متسارعة وكأنه يشاهد ملحمة كاملة، حتى وضع الجيساس يده على الكيان وهرب من كرات النار والنور وذهب إلى كهف بعيد للغاية، هنا انتهت الرؤية!

طرح أمجد سؤالًا نبت في عقله بغتة: هل تحمل جزءًا من روح الجيساس؟

صمت الكيان. بل طال صمته أكثر من المعتاد، هو لا يفكر ولكن الإجابة قد يكون بها فناؤه، ولكنه لا يملك إلا الرد، وبصدق!

- أحمل ذكرياته فقط ومعرفته.
- أتحدث عن روحه.
- نعم جزء يسير.
- هي سبب قوتك، ولماذا قتلت الكيان الآخر، الثالث؟!
- لم يمت.

صُعق أمجد: ماذا؟!

- الكيانات لا تموت، بل تُكبل فقط بقوى خاصة ولكن يمكن لنا نحن فقط أن نحصل على طاقة من مثلنا لزيادة قوتنا.
- وماذا حدث له؟!

- لسنا سوى كيان واحد، قسم الجيساس قوانا فقط وكلما سقط منها واحد ذهبت قوته إلى الآخرين.
- ولهذا أنت أقواهم؟
- نعم.

تمتم أمجد:

- حصلت على قوته وكبلته، ثم أخفيته لتصبح منيعًا؟
- هو ما حدث.

ابتسم أمجد من داخله، لا يريد أن يظهر على ملامحه أي شيء يعكس ما ينويه، هذه المرة يختار مصيرًا لا يعلم كيف سينتهي، هل يموت بعد ما سيفعله أم يعيش..؟ ولو عاش هل سيكون مطاردًا في حياته أم تعود الأوضاع إلى ما كانت عليه..؟ يعتقد أنها لن تعود لأن هناك من يزور الناس في أحلامهم ويأمرهم، هل هو الكيان؟ يستبعد ذلك لأن الكيان ظهر بعد أن سار بحتي في خطته بشكل طويل، أي أن هناك من يأمر غيره!

هل يملك شيئًا سوى الأمر؟ هل يقدر على القتل مثلًا أو التخلص منه ومن أحبائه كما يشاهد في الأفلام وكما فعل مع عائلة سمرة؟!

بدأ مخه يذوب في الأفكار، يريد أن يريح عقله قليلًا ولكن لا يعلم كيف.

بدأت سمرة في الاستفاقة بشكل تدريجي، تأوهت ببطء؛ ثم رفعت رأسها وهي تستند على ذراعيها لتجده أمامها، حاولت أن تجري نحوه وترتمي في حضنه، فلم تقدر، نظرت حولها لتجد الكيان الأسود؛ تصرخ وهي تقول بعض الكلمات ولكن دون تأثير!

في هذا المكان لا سطوة للسحر إلا الأسود!

اقترب منها أمجد ببطء حتى وصل إليها ليسند رأسها على حجره ويطمئنها، وهو يمشط شعرها بأصابعه بعد أن تناثر بسبب ما واجهته، ما زال يفكر في الحل ولا يعلم ما سيفعله.

سألته عما يحدث، فشرح لها ما حدث وسط صمتٍ تام من الكيان الواقف أمامهما، نظرت له مذهولة وأبعدت رأسها عنه وهي تتراجع إلى الخلف خوفًا منه: ما الذي تنوي فعله؟ هل ستقتلني فعلًا؟

لم يرد أمجد..

لا يريد المجازفة بحياتها وحياته ويعلم الكيان بخطته، بالتأكيد هو ليس غبيًا، ولكنه تعجب من أنه يفكر هكذا، من المفترض أنه من نسل بحتي، أي يحمل

داخله بذور الشر والظلام، هل طاقة الحب تمنع الظلام من السيطرة عليه؟!

ظل يفكر أمام سمرة التي ظلت تنظر له وصامتة، هو يعلم أنه آخر نسل بحتي، وفي المقابل سمرة آخر نسل تي، أي أنهما الوحيدان على الأرض الآن اللذان يملكان قوى سحرية حقيقية وليست مجرد قدرات وقتية أو ضئيلة؛ بل قدرات لا مثيل لها، تعجب من قدراته والمعرفة رغم أن الهرم سحب كل طاقة السحر في العالم؟ ولكنه عرف الإجابة سريعًا؛ لأن ابن بحتي حينها كان في بطن أمه أي ليس كائنًا حيًا كاملًا يمكن سحب طاقته!

لهذا السبب نجت سلالة بحتي بأكملها وكانت قادرة على إتيان السحر، لم يعلموا بما في داخلهم من قدرات لأنهم لم يعلموا ما علم، ربما أحدهم أحرق شقته بالخطأ أو حلم بكوابيس وجيساس قادم، ولكن ظنوا حينها أنها أشباح أو ما شابه، أو ربما اعتقد أحدهم إنه وهم ولن يستمر.

وهم لن يستمر!

فكر في العبارة كثيرًا والكيان ما زال أمام أمجد دون حركة أو حديث، ربما يفكر هو الآخر في نهاية هذا الأمر، ظل لآلاف السنوات ينتظر سيده من نسل بحتي

حتى يجد حلًا لتحرير الجيساس وعندما وجده وجاء إليه، ومن المقرر أن يقتل آخر نسل تي يقف عاجزًا، لعله الآن يلعن ضعف البشر ولكن لا بديل أمامه سوى الانتظار.

قطع الصمت بسؤالٍ وجهه إلى سمرة: هل تحبيني؟

تفاجأت بالسؤال في مثل هذه الظروف، ولكنها أجابت: نعم ولا أعلم كيف؟!

زاد: تثقين بي؟

ردت بسرعة: بالتأكيد.

لم ينتظر أمجد العبارة حتى تتم؛ ليوجه يده إليها ويطلق عليها كرة من النار فجأة ضربتها في صدرها لتطيح بها إلى الخلف؛ ثم أتبعها بكلمات فتحت خلف جسدها المدنف فجوة سوداء غريبة سرعان ما ابتلعتها واختفت داخلها؛ ثم اختفت الفجوة بدورها تمامًا وكأنها لم تكن!

النهاية

زمجر الكيان وكأنه لم يتوقع هذه الفعلة من أمجد، ولكنه قال وهو ما زال في مكانه مترقبًا: ما الذي فعلته سيدي؟

أجابه أمجد وهو يقترب نحوه: كما ترى، أطلقت عليها كرة نار قتلتها؛ ثم تخلصت من جثتها فقط.

لا يملك الكيان سوى التصديق، فأمجد من سلالة سيده ولن يقدر على خيانته أو قتله، هكذا العهد بينهما ولا يمكن أن يخلفه أحد فقوانينهم لا مزاح فيها حتى لو فكر أحدهما في التراجع، يعلم أن أمجد حصل على القوة كاملةً بعد رحلة المعرفة، وكأنها أزاحت عن عقله كل ما كان يعيق خروجها.

ماذا الآن؟ وجه أمجد السؤال إلى الكيان الأخير ليرد عليه: نجد وسيلة لإخراج سيدي الجيساس.

- من الهرم الأكبر؟
- نعم.
- وكيف نفعل ذلك؟
- أنا لا أقدر على الاقتراب من المكان ولكن أنت قادر على ذلك.

- كيف وهو يمنع دخول أي سحر أو شر؟!
- كان هذا في الماضي قبل أن تنفذ تي فعلتها، كما قلت لك سيدي يمكنك الدخول ولكن ستتألم قليلًا، ستتحرك وتعلم وجهتك وتدمر سجن الطاقة هذا ليخرج سيدي ويعيد الوضع إلى صوابه.

أمجد يعلم أن الكيان سيرد بهذا، ولكنه يريد المماطلة أكثر، شاهد كل ما حدث بالذكريات في عقله، ولكنه يريد كسب المزيد من الوقت حتى تنجح خطته.

سأله وهو يدور حول نفسه وكأنه يفكر: ماذا لو انهار الهرم؟

- لو انهار الهرم لانهارت الغرفة المحبوس فيها سيدي وحينها يخرج.
- كيف علمت إنه محبوسًا في غرفة، ألم تقل إنك هربت في المعركة؟
- أحمل جزءًا من روحه، كل ما حدث له ويحدث أراه داخلي.

تحدث أمجد وكأنه يجلس مع صديق له على المقهى: حسن، دعنا نعود إلى موضوعنا، أي أنه لو وقع زلزال أو حرب لا قدر الله وانهار الهرم سيخرج الجيساس؟!

- نعم.

الأمر يزداد صعوبة وخوفًا بالنسبة إلى أمجد، لم يكن يعلم أن داخل الهرم هذا السر الخطير!

- وكيف نحرر الجيساس؟
- تدمر الغرفة فقط من الخارج فينهار سجن الطاقة وتتحرر قواه.

يريد المماطلة أكثر وأكثر، ولكنه لا يجد في رأسه أي شيء، ينتظر فقط إشارة واحدة ليتحرك.

هل يمكنك أن تنقلني إلى هناك لأرى المكان ثانية، أكمل العبارة ليجد نفسه أمام الهرم الأكبر ثانية والرياح تُطير الرمال أمامه.

عاد ثانية إلى المكان نفسه ليسأله دون أن يضيع وقتًا: ماذا عن سمرة، كيف نزلت إلى هنا ولم يحدث لها أي شيء؟

- أنا قادر على خلق الوهم في المكان الذي أعيش فيه، أضع أي روح في قالب من الوهم.
- لهذا شعرت بحرارة بالغة أول مرة كنت فيها بالنفق؟
- نعم.
- وحماية سمرة والسحر الذي نفذته؟
- قلل من التأثير الكبير لقواي في الأعلى.

- والذكريات التي شاهدتها هل كانت وهمًا؟
- لا.
- أعدها علي.
- تقصد تريد رحلة معرفة أخرى؟

قال بحسم:

- نعم، الآن.

دخل أمجد ثانية في نفس الدوامة السابقة بنفس المشاهد ورغم الألم العقلي الذي يشعر به إلا أنه تحمل حتى عاد ثانية إلى المكان المظلم ذاته وأمامه الكيان.

سأله ثانية: لماذا لم ترها سمرة؟

- هي فقط الطعم الذي كان مطلوبًا لتحضر.
- هل لها دور آخر؟
- بدمها تُفتح بوابة سجن الطاقة؟!

تراجع أمجد مذهولًا: كيف؟

تأتي فتأسرها وتزهق روحها أمام الغرفة لفتحها مع طقوس معينة ستعرفها حينها، دمها هو القادر على إخراج سيدي الجيساس بأمان.

- هل يموت الجيساس؟
- الكل يموت.
- كيف؟

- هو سيدي وأنت سيدي ولكنه في المرتبة العليا فلا يمكنني الإجابة عن هذا السؤال.
- وأنت؟
- ماذا تعني؟

ابتسم أمجد ساخرًا: كيف تموت؟

قبل أن يرد الكيان تعالى صوت صراخ سمرة وهي تسقط في الأعلى متعلقة بالحبل وترمي نفسها وهي تقذفه بكرة من النور لينضم لها أمجد ويقذفه بكرة نار جعلت الكيان يتراجع إلى الخلف مزمجرًا، وبدا المكان وكأنه سينهار ليصرخ أمجد فيها مذكرًا إياها بتعويذة سلاسل التكبيل، ليتعالى صوتهما سويًا وهما يدوران حول الكيان بسرعة وهما ينظران إليه، عينا سمرة أصبحتا بيضاء تمامًا ولم يدر أمجد أن عينيه تحولتا إلى الأسود تمامًا، تصاعد صراخ الكيان الأخير مع صعود سلاسل ثلجية ونارية من الأرض تحيط به، وتعاويذ سريعة تلقى للحماية ومحاصرته داخلها.

مرت دقائق والصراخ يتعالى وأمجد وسمرة يتلوان تعاويذ وكلمات التكبيل حتى اختفى الكيان تمامًا أسفل السلاسل.

لم يدر أمجد بنفسه إلا وهو يحتضنها بشدة، لتبكي بدورها وهي تضرب بقبضتها صدره وتقول له وسط

دموعها:

- حاولت قتلي أيها اللعين.

ربت على ظهرها وهو يقول: لا أقدر، لا أحد يقتل روحه.

- ولماذا فعلت ذلك وقذفتني بالنار؟

- كان يجب أن أفعل هذا حتى يظن إنني قتلتك، وأنا أعلم كما قلت لي في الأعلى أن لديك حماية لا تقدر على التدخل والسحر ولكنها قادرة بالتأكيد على حمايتك والتصدي لأي شيء يحدث لك.

- هو ما حدث فعلًا، حدث جدار من الطاقة أمامي لولاه لتفتت جسدي بسببك، ولكنك أرسلتني إلى الأعلى أمام الحفرة التي تقود إلى النفق، لماذا؟!

ابتسم أمجد وهو يربت على رأسها: حتى تعودي.

سألت في حيرة: لماذا أخرجتني بالأساس لأعود؟

- قولي لي أولًا ماذا وجدت؟!

رفعت رأسها لتنظر له بحب: لم أجد أي شيء غريبًا، مجرد نفق والحبل ونزلت ببساطة لأجدك في الأسفل تتحدث معه، لم أسقط ويغشى علي مثلما

حدث أول مرة بل قفزت عليه فقط ورميته بكرة النور القاتلة، بدأت أفهم الآن.

رد أمجد وهو يقبل رأسها: الوهم لا يمكن أن يستمر، الكيان قادر على خلق وهم يركز عليه فقط، يسلط عليه كل تركيزه ليخلق عالمًا داخل العقل الباطن يحبس فيه الإنسان، وعندما ألقيتك داخل الفجوة أغلق باب التفكير فيك تمامًا وسلط كل تفكيره فيما أقول فقط لنقل عقلي إلى الأماكن التي كنت أتحدث عنها، كل ما فعلته هو أنني شتتّ وهمه تمامًا حتى تعودي بشكل طبيعي ونوقع به.

ابتعدت عنه لتقترب من الكيان المكبل على الأرض وتسأل: ماذا نفعل به؟

- لا يمكنني قتله، ولا يمكنني أيضًا السماح لك بقتله ولا أعلم السبب ولكنني مجبر عليه، سنتركه هنا فقط ولكن سندفنه أسفل الأرض حتى لا يتوصل إليه أحد بالخطأ.

سألتها وهي تقترب منه وتتعلق بعنقه في دلال: هل انتهى الأمر؟

أجابها وهو يسرح في كلمات الكيان بشأن الجيساس والأهرامات: مؤقتًا ولكن هناك شيء من المهم أن نفعله في أسرع وقت.

تعجبت وقالت: ما هو؟

ابتسم لها بحب وهو يضمه إلى صدره ثانية: نتزوج ويصبح لنا نسلٌ قادر على إنقاذ العالم من الشرور، هل تقبلين بي؟

ركلت قدمه وهي تقول مازحة: دعني أفكر، ولكني أريد مهرًا كبيرًا وأنسى كل ما جرى في هذا المكان، بل أنسى كل حياتي الماضية ونسطر سويًا حياة جديدة.

اتجها إلى الحبل الذي نزلا به، ولكن قبل أن يصعدا إلى الأعلى سألها عن العمال الذين اختفوا في النفق وبينهم كامل، فأشارت له بيده إلى ركن ظهرت ملامحه بالأضواء الواهية التي تبعثها سلاسل النور والنار حيث تقبع جثثهم مشوهة تمامًا، ولكن أين جثة كامل؟!

سألها قبل أن يصعد عن صاحب فكرة اختطافه في هذا المكان، فقالت إنه كامل، فلم يرد ولكنه فهم أن هذا الشخص ربما هو الآخر حلم بأمرٍ أن يأتي بسمرة إلى هذا المكان لتعلم أين يوجد الكيان الأخير وحينها تحضره، كانت لعبة تحركت فيها كل الأطراف كما عرائس المارونيت والهدف هو إحضاره فقط إلى هنا لبدء تحرير الجيساس وقتل سمرة، ربما خرج كامل حيًا كنوع من المكافأة أو تغذى عليه الكيان؛ فبالتأكيد هو يتغذى على شيء ما ولو كان بشرًا!

هز رأسه بأسف وهو يحملها من وسطها إلى الأعلى لتتعلق بالحبل وتصعد وهو خلفها ليلقي نظرة أخيرة على المكان الذي أعاد له حياته المنسية وذكرياته الملعونة، يسأل نفسه من داخله هل يقدر على التخلص من الآثار العالقة في روحه بسبب إرث وسلالة أرادت للشر أن يسود أم أنها مرحلة ما وستعلن الشرور عن نفسها وتصنع منه نسخة جديدة من بحتي؟!

لا يعلم الإجابة ولكنه يحب سمرة ولهذا علمت أنه المختار قبل أن تراه.

تساءل عن معنى «المختار»، هل الذي أدى دوره المرسوم حتى الآن أم الذي اختار مصيره مثلما فعل قبل قليل؟ لا يعلم الإجابة فكلها مسميات لا تعني له شيئًا، فالمهم أن سمرة معه الآن، وربما مخاوفه ممزوجة بالوهم ويقدر الحب بالفعل على هزيمة الشر دومًا حتى ولو زاره الكيان الغريب الذي لا يعرف سره حتى الآن في المنام مستقبلًا.

بعد عام

داعبت أصابع رقيقة وجه طفلٍ رضيع يبدو أنه لا يتخطى عمره الشهر، قمحي البشرة ذو شعر طويل بعض الشيء وناعم، يحمل من البراءة ما يجعل أي قلب يخفق عند رؤيته.

- كيف حال خالد؟

طرح أمجد السؤال على سمرة وهو يرتدي ملابسه على عجل بعد أن تأخر في الاستيقاظ، وكاد أن يتأخر على موعده في الصحيفة، لترد برقة:

- جيد، أعتذر لأنه بكى ليلًا كثيرًا، لا أدري ما أصابه ربما يعاني من بعض الانتفاخ.

قبل رأسها وهو يرد:

- لا عليك، أعلم أن الأبوة ليست سهلة.

نظرت له ممتنة لتسأله بفضول حذر:

- هل ما زلت تحلم بكوابيس بعد هذه الفترة؟!

صمت ولم يرد، لتزيد:

- تحدث معي فأنا لا أريدك أن تحمل همَّ ما يحدث وحدك، بماذا حلمت؟!

نظر لها أمجد ثم رد:

- يريد العودة!
- الجيساس؟!
- نعم!
- هل هو الحلم الأول منذ حبس كيان الظلام؟
- نعم، بكل أسف، أمس أتم خالد عامه الأول ولا أدري هل أربط الحلم بهذا أم لا!

ردت بشفقة:

- ربما يمارس عقلك الباطن بعض الألاعيب فقط معك وأنت تتخوف من أن يصيبه مكروه!

ابتسم أمجد:

- ربما، نعم هو ما حدث يا حبيبتي، سأرحل الآن لأنني تأخرت.

ليتركها وعلى وجهها نظرة حملت بعض الخوف، فهي لم ترد أن تخيفه أيضًا وتحكي له أن تي زارتها أيضًا أمس وحذرتها!

•

طوال الطريق إلى الصحيفة يفكر أمجد في الحلم، في داخله يقين أنه ليس بحلم، بل واقع، فحتى الآن لا يستوعب أن ينتهي الأمر ببساطة وأن يكون الحب هو حل معركة مستمرة منذ آلاف السنين. هناك سر آخر لا

يعلمه، ولكنه مطمئن بوجود سمرة مع ابنه وأن لديه قدرات الآن تجعله يواجه أي شيء.

رن هاتفه ليلتقطه سريعًا، سمرة!

- حبيبتي

- ماذا؟!

تعالى صوت المكابح وهو يضغط فرامل السيارة؛ ثم يستدير بها بسرعة عكس الطريق وسط سباب من قادة السيارت الآخرى، فليذهبوا إلى الجحيم، خالد اختطف!

التضحية الأخيرة

وجدها تبكي بحرقة، واضعة يدها على رأسها في انهيار ولا تدري كيف اختفى وليدها!

صرخ فيها بغضب:

- ماذا حدث؟! أين خالد؟!

نظرت له وهي لا تدري ما تقول لتهمم وكأنها لا تستوعب ما جرى:

- أقسم لك لا أعلم، كان في فراشه ودخلت فقط لأحضر كوب ماء وعدت فلم أجده!

جلس على الكرسي المقابل لها، وهو يردد كالمصدوم:

- كيف؟! ومن فعلها؟!

نهضت سمرة لتربت على رأسه:

- هون عليك، سنجده لا تقلق، تعال سنتواصل مع الشاهد!

رفع رأسه إليها متعجبًا:

- الشاهد يريد تضحية بالدم!

- سأفعلها، سأجرح نفسي فقط الأمر ليس خطيرًا لكن أريدك بجانبي تمسك يدي لترى ما

أراه.

يعلم جيدًا أن الشاهد هو نوع من الجن الذي يتلصص على الجميع، ولكنه لا يقدر على نقل صورة إلا لمن يحمل نفس الدم، ولكنه لا يتعامل إلا مع النساء فقط، لذا لا يقدر على استدعائه لنفسه، فوافق على الفور.

أحضرت سكينًا بسرعة من المطبخ وعادت إلى أمجد ليجلسا على الأرض وتبدأ في تلاوة كلمات التواصل مع الشاهد؛ ثم جرحت ذراعها بسكينٍ وتركت دماءها تنزف على الأرض وأمسكت يد أمجد وأغمضت عينيها.

دقائق ولم يحدث شيء؛ ثم تحولت الغرفة إلى ظلام تام، ليجد أمجد وسمرة نفسيهما مقابل الهرم الأكبر!

وكأن هناك من يسحبهما داخل الهرم، ممر ضيق للغاية يكاد يكفي لمرور شخص واحد أسفل قطعة حجرية ضخمة.

يدخلان الممر وكأن جسديهما ليس لها مادية، يتحركان سريعًا وكأنهما يركضان داخله، حتى وصلا إلى سلم حجري صغير يقود إلى الأسفل، ليهبطا بسرعة كبيرة حتى وصلا إلى قاعة مظلمة.

هناك صوت يتردد!

صوت بشري!

يتحدث أو يتلو ترانيم غريبة!

يتحركان ثانية حتى وصلا إلى نهاية القاعة، هناك خيال لبشري يقف أمام القاعة! أسفله طفل عاري!

خالد!

اندلعت صرخة طويلة من سمرة وأمجد وهما يشاهدان البشري يرفع نصل سكين إلى الأعلى ويهبط به بسرعة على عنق فلذة كبدهما.

صرخة خرجت من أفواههما رجت المكان ومن فيه؛ ليلتفت إليهما البشري، كامل!

استمر صراخهما حتى فتحا أعينهم ليجدا أنفسهما في الغرفة، صرخة ملتاعة لا يتصورها عقل وتحمل من الألم ما يكفي لدمار العالم!

صرخة امتزجت بغضب حركت المنزل وكأنه يُرج بقوة خفية!

البيت يرج وصور معلقة تسقط وهما يسجدان على الأرض بحرقة يبكيان مشهدًا لن تنساه ذاكرتهما أمد الدهر!

لم يشعر أمجد إلا بألم يتصاعد في صدره ويقتلع قلبه ويد سمرة تمسك به وتنهض به بسرعة للاحتماء

من زلزال يحدث الآن ويتسمر وسط صراخ يتعالى في الشوارع وكأنه يوم القيامة.

أسوأ المشاعر هي ألا تستطيع البكاء وقت أن يحين موعده! مات خالد أمامهما ولكن نهض الجيساس!

خرج من سجنه الأبدي بتضحية كانا أغبياء؛ لأنهما لم يفكرا فيها!

الآن فهما خطة اللعين، لم يراهن على البشر أو المشاعر، بل علم أن تحريره هو دم مزيج يحمله كل من دخل إلى الجبل الأسود، سلالة تي وبحتي سويًا، كانت خطته أن يقابل سمرة وأن يعشقها ويتزوجها وهو كان يظن أنه اختار مصيره!

تلاعب به الجيساس والكيان الأخير لتأتي فرصة تحرير المسخ على يد بشري ضعيف ورضيع دمه مزيج بين القوتين!

خرجا بسرعة وقد فهما ما يجري، لا وقت للحزن، لأن المقابل سيكون فناء البشر هذه المرة!

في الشارع كان الوضع مأساويًا، صراخ يتعالى وطائرات حربية تمر أعلاه، وكهرباء انقطعت عن المنطقة بأسرها!

بيتهم على مسيرة ربع ساعة حتى الهرم الأكبر، ولا وقت أمامهم، ليتحركا سريعًا ولكن عليهما التحايل على قوات الأمن التي بدأت تطوق المنطقة، هما لا يدريان بعد ما جرى وهل خرج بالفعل الجيساس أم أن ما يحدث تمهيد فقط لخروجه؟!

بنهاية شارع الهرم وقفا ينظران إلى الهول!

تشوه الهرم الأكبر!

أحجار محطمة وقمة لم تعد موجودة ورجات تحدث كل دقيقة بترتيب معين وكأنها نبضات قلب أو عد تنازلي!

أمر الدخول أصبح سهلًا بعد أن هربت قوات الأمن في انتظار وصول الجيش والمدرعات، وهي فترة دقائق قليلة لن تزيد، لكن ما زاد الأمر سواءً تواجد عدسات المصورين، عليهما التسلل بسرعة ليمسك يدها ويجري بها وسط صراخ لضابط برتبة كبيرة ليتوقفا.

المسافة كبيرة والمكان عالٍ والركض فيه صعب للغاية ولكن الدافع لديهما أقوى من أي شيء، ركضا فلهثا، وصراخ يتصاعد ورجات أرض تهز المنطقة ليقتربا من الهرم أخيرًا.

فجأة انهار كل شيء!

وكأن الهرم الأكبر انفجر تمامًا لتتناثر الصخور الضخمة وتسحق ما تحتها، بشر أو مركبات على مسافة كيلو متر.

صوت خوار يتعالى من الداخل ويد ضخمة تعلو؛ ثم تهبط على حافة الهرم لتزيح الصخور في غضب، بركان ثائر يستعد للخروج وحرق الأرض ومن عليها، هذه المرة لن يكون عليها بشر، الانتقام يعمي الخير، فما بالك بشر خالص؟!

ظهر أخيرًا، بجسده الضخم للغاية وقرونه الملتفة وكأنه شيطانٌ رجيم عائد للقصاص.

- التكبيل يا سمرة.

صرخ أمجد بالجملة ليبدأ في تلاوة تعاويذ التكبيل بسلاسل النار والنور، لتخرج من الأرض وكأنها ثعابين وتلتفت حول جسد الجيساس الذي نظر إليهما باستخفاف وأشار بيده فأطاح بهما كل في ناحية.

رغم الألم البالغ في جسده، نهض أمجد ونظر باتجاه سمرة ليجدها تمسك رأسها وخيط دم ينساب منها، مما زاده غضبًا ليصرخ ويرفع يديه لترتفع رمال الصحراء عاليًا، وتصنع ستارًا بين سمرة والجيساس.

ضحك الجيساس وقال بنبرة استحقار:

- بشري ضعيف، أشم في دمك رائحة بحتي، أتبيع نسلك القوي لأجل سليلة الكهنة المرتلين؟!

رد أمجد وهو يرسم بقدمه دائرة حماية حوله ويتلو عليها تعاويذ لصنع درع من النور حوله يصد الضربات:

- أبيع أي شيء لأجل جنسي أيها القذر القادم من الجحيم؛ ثم ركل الرمال لتتصاعد كتلة منها تضرب جسد الجيساس دون أن تؤثر فيه!

اختفت الرمال وتساقط التراب الذي يحمي سمرة ليجد الجيساس الاثنين اختفيا من أمام ناظريه!

استغل أمجد الرمال ليذهب إلى سمرة ويركض بها بسرعة خلف صخرة كبيرة للتفكير في المرحلة المقبلة.

هذه المرة إن خرج الجيساس من المكان لن يجد سوى كل ترحيب من بشر سلموا أمورهم للخوف؛ بل لن يتعجب إن وجد بعض وسائل الإعلام تصفه بالمهدي المنتظر!

لن يراهَن على غيره، فهم قلة ولن يفعلوا أكثر مما سيفعل.

نحتاج إلى فجوة أبعاد.

نظر لها أمجد في عدم فهم، أو عدم تصديق إن جاز التعبير، فهو يعلم جيدًا أن هذه الفجوة بحاجة إلى تضحية بشرية لصنعها!

أجاب بسرعة:

- لا بالتأكيد هناك حل آخر.

ردت بحسم:

- لا وقت لدينا، أمامنا دقائق فقط فهو يبحث عنا وسيجدنا لا محالة.

انهارت الصخرة فجأة ليجدا نفسهما مكشوفين أمامه وهو يضحك ساخرًا:

- لا أحب النصر السريع، اهربا ثانية لأجدكما.

سحب أمجد سمرة من يدها ليهرب وهو يشير بيده إلى صخرة ضخمة ويدفع يده بقوة تجاه الجيساس لتتحرك بقوة تضربه في صدره، فيتراجع إلى الخلف خطوتين فقط وهو يزيد في ضحكه.

نظرت سمرة إلى الجيساس، ثم استدارت لتتحول عيناها إلى اللون الأزرق ويرتفع جسدها إلى الأعلى؛ ثم تطبق يدها فجأة لتصنع ممرًا من الرمال وصل إلى أسفل الجيساس ليفقده توازنه ويسقط بصوتٍ مدوٍ هائل رج المكان.

لم تنتظر سمرة مزيدًا من الوقت لتدفع أمجد بقوة ليسقط على الأرض من المفاجأة وتتلو كلمات فتح بوابة الأكوان لتبدأ الرمال في الدوران كما الدوامة ويخرج منها فجوة سوداء، لتصرخ في أمجد:

- الآن لم يعد هناك سبيلًا للتراجع، فُتحت الفجوة وأمامك دقيقة واحدة فقط لتلاوة كلمات المرور معي؛ وإلا ستسحب روحي دون جدوى.

نظر إليها أمجد والدموع بدأت تتجمد في مقلتا عينيه، ورأى من خلفها الجيساس وهو يستعد للنهوض بقرنه الضخم، ليجلس على الأرض ويغمض عينيه وهو يتلو كلمات المرور بسرعة، ١٣ كلمة بالتحديد استغرقت منه ١٥ ثانية ليجد جسده يُسحب إلى داخل الفجوة وسمرة تصرخ بغضب ولوعة، وتحاول الإمساك به قبل دخوله دون جدوى.

تلى الكلمات لنفسه، ضحى بروحه لتعيش هي، لم تضع في حسابها أن يفعل ذلك، خدعها لينقذها.

للمرة الثانية تذهب قطعة من روحها دون أن تستطيع التدخل أو إنقاذها، ألم يمزق روحها وقلب تبعثرت أشلاؤه على الرمال. وكالعادة لا يمكنها إلا الاستمرار.

بكت بحرقة وهي ترسم بيديها علامات الفجوة، بدأت صغيرة؛ ثم زادت وزادت حتى توسعت وبدأت بالتحرك لتدفعها تجاه الجيساس الذي وقف أمامها متأهبًا، خائفًا لأول مرة فهو لا يتخيل أن يقدر بشري على الوصول إلى هذه المعرفة!

مع اقتراب الفجوة علم أنه لا مهرب، فالكلمات المرسومة على حوافها تحمل اسمه، سيذهب لا محالة إلى كونٍ آخر!

صرخ بغضب بالغ وثار قاذفًا الرمال والصخور في كل اتجاه، البشر الضعفاء سيهزمونه ثانية، لتقاطع الفجوة صراخه وتحيط به بسرعة وهو يحاول التخلص منها ويعود، حتى أحاطت به تمامًا وتقلصت فجأة لتختفي وهو داخلها!

هدأ كل شيء كما كان، الصخور حولها وجسدها ممد على الأرض لا يقوى على النهوض وكأن الطاقة سُحبت منه تمامًا. ربحت الأرض وخسرت هي!

الألم النفسي لن يذهب، لعنت فتنة الأرض التي جعلتها تخسر حبها وابنها، لعنت حياة الشر وطمع البشر.

أنين من داخلها تصاعد حتى عقلها؛ لتظلم الحياة أمامها فجأة!

النهاية

حمدًا لله على سلامتك، سمعت هذه العبارة لتحاول فتح عينيها بصعوبة بالغة، هل كان حلمًا؟ تتمنى ذلك لأنها لن تقدر على الاستيقاظ وهي تعلم أنها خاسرة!

فتحت عيناها لتجد أمامها ممرضة ترتدي الأبيض، تسألها عن حالها فهزت رأسها دون حديث وأغلقت عينيها ثانية.

مرت ٣ أيام وهي لا تتحدث مع أحد، علمت أن ظهور الجيساس قتل أكثر من ٢٥٠ شخصًا، وأثار حالة من الرعب في العالم.

البشر لا يحبون الغرابة ويؤمنون أنهم الوحيدون على الأرض وما عداهم لا يستحق الذكر، ضعفاء كما قال الجيساس، وظهوره سبب صدمة المعرفة!

معرفة أن للكون حسابات أخرى، وهناك ألغاز لا يمكن تخيلها وأحداث غير متوقعة قد تحدث دون استعداد منهم.

تعلم أنها ستخرج اليوم من المستشفى وتعود إلى بيتها، ولكن هذه المرة دون أمجد، دون روحها، لكنها لن

تستلم فأمامها مرحلة أخرى، بل مراحل عليها المرور فيها، فأمجد لم يمت بل ذهب إلى كون آخر يمكن الوصول إليه يومًا ما، ربما تجد الوسيلة وتنقذه وتعود به إلى عالمنا، كما أن لديها مهمة أخرى لا تقل أهمية وهي سر جبل الظلام؛ فهي لا تريد أن تترك أي مجال للصدفة أو الطمع البشري لإعادة شرٍ خالصٍ إلى الأرض.

لديها مهام عديدة، لكن عليها الاستعداد لها جيدًا، فالمستقبل الغامض لا يرسم ملامحه سوى الأقوياء!

عن الكاتب

عبدالرحمن دياب،

كاتب وصحفي مصري.

صدرت له عدد من الروايات منها:

- سيناي
- ميتا بوست

والجيساس هي العمل الثالث له.